التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 213 السنة 23 - أغسطس 2025

معضلة البطالة والسياسات النيوليبرالية

أهل غزّة يموتون جوعاً والعالم يتفرج

زياد الرحباني عبقري الموسيقى وصوت المهمشين

موقفنا

من غزّة يأتي البرهان

ما من شعبٍ على وجه الأرض يواجه ما يُواجهه سكّان قطاع غزّة اليوم من قتل وتدمير وتهجير وتجويع متعمّد، بدعم وتواطؤ مكشوفين من قبل إدارة ترامب وحلفاء غربيين آخرين، داعمين للمخطط الصهيوني – الأميركي الرامي إلى إخلاء القطاع من سكّانه بمختلف السبل بما في ذلك القتل عبر التجويع، ورغم أنّ المأساة الفلسطينية الممتدة عقوداً طويلة تتوالى فصولاً من الدم والتشرد والوجع، إلا أنّ ما يطلق عليه، زيفاً، المجتمع الدولي ما زال يقدّم للجلاد الصهيوني مختلف أشكال الدعم غير القادر على مواصلة جرائمه بدونها.

يافطة «المجتمع الدولي» هي تمويه على الحقيقة الساطعة، فإرادة هذا المجتمع مسلوبة ومصادرة من الدول التي صار الكثيرون يجدون حرجاً في تسميتها بتوصيفها الحقيقي: الدول الإمبريالية، التي هندست تسليم فلسطين للعصابات الصهيونية، والتي أمّنت لإسرائيل كل أسباب البقاء كل هذه العقود، هي التي لا تملكها في محيط هي دخيلة عليه وعلى تاريخه .

أحد الأدلة يأتي من أرض غزّة المحروقة بنيران الصهاينة وتوحشهم، فالجيش الذي يتباهى بأنّه لا يقهر يتكبد الخسائر البشرية بشكل يكاد يكون يوميّاً بفضل المقاومين الأبطال الذينً يخوضون حرباً غير متكافئة، ولكنّهم يصرون على ألا يرفعوا الرايات البيض أبداً، ويصممون على القتال والموت دفاعاً عن أرضهم وقضيتهم العادلة، وفي هذا يكمن الفرق بين أصحاب هذه القضية وعصابات مستوطنين مستجلبة من أقاصي الدنيا لتقيم "دولة" على أرضٍ ليست لهم.

أهالي غزّة الذين يواجهون وحدهم، ويصدور عارية، جيشاً غازياً مُدججاً بأشدّ أنواع الأسلحة فتكاً، ويُهجرون من منطقة إلى أخرى، وينال منهم الجوع والحصار حتى الموت، يقدّمون، اليوم، البرهان على أنّ إرادة شعب فلسطين المقاوم، وعلى مدار العقود التي مضت حتى قبل أن تتشكل الدولة الصهيونية، أقوى من الغزاة، لأنّه صاحب قضية ستنتصر مهما طال الزمن، شأنها شأن كل القضايا العادلة للشعوب، فالهمجية مهما تغوّلت وزادت شراسة لن تقوى على هزيمتها.

وغزّة لا تقدّم البرهان على صمود أهلها وصبرهم فحسب، بل إنّها، أيضاً، تضع كلّ الضمائر الحيّة أمام مسؤوليتها في نصرة الحق، والهبة ضد ما يفعله الغزاة الذين يتمادون في غيّهم، لا في داخل القطاع وحده، وإنّما في كلّ الأرض الفلسطينية التي يجاهر الصهاينة بنيتهم الشريرة في ضمّها إلى كيانهم المصطنع، وهذا ما أفصحوا عنه بتصويت "الكنيست" مؤخراً على قرار بضمّ الضفة الغربية.

التقدمي

التقــدمــي يشجــب استمـــرار فصـــل الشـــركـــات للعمـــال البحـــرينييـن مـــن أعمـــالهـــم

عبّر المنبر التقدمي عن تضامنه ووقوفه التام إلى جانب العمال الذين يتواصل مسلسل فصلهم من أعمالهم في الشركات والمؤسسات الخاصة ومختلف مواقع العمل والإنتاج ، وكان آخرها حالات الفصل التعسفي ما أقدمت عليه شركة البحرين لبناء وإصلاح السفن (أسري) وبعض منشآت القطاع الخاص مثل شركة «يونيليفر البحرين» و«داتا دايركت».

واكّد التقدمي في بيان أصدره بهذا الخصوص وقوفه التام إلى جانب هؤلاء المواطنين الذين حُرموا من مصدرٍ رزقهم ورزق عوائلهم، معبراً عن شجبه واستنكاره لهذه الإجراءات التعسفية التي أقدمت عليها هذه الشركات والتي تستهدف محاربة المواطنين في أرزاقهم وتكشف زيف السياسات النيوليبرالية التي لطالما دأب المنبر التقدمي إلى التحذير من انعكاساتها السلبية على المجتمع والتي لا تقيم أي اعتبار لحقوق العمال والعاملين وأن همّها الوحيد هو جني المزيد من الأرباح على حساب تعب وكدح العاملين.

وجاء في بيان التقدمي: "إن ما أقدمت عليه هذه الشركات من إجراءات بحق العمالة الوطنية ما كان لها أن تتم لولا غياب القوانين الفعّالة والرادعة التي يمكن لها أن تحدّ من جشع هذه الشركات وافتقار البنية القانونية للإجراءات الرادعة والفعّالة التي يمكن أن تتخذ ضد الشركات والمؤسسات التي تفكّر في التخلص من العمالة الوطنية بهذه الطريقة المهينة".

وأضاف البيان: "إننا في المنبر التقدمي وفي الوقت الذي نعبّر عن وقوفنا إلى جانب جميع العمال المفصولين ومساندتنا لجميع حقوقهم في العمل والعيش الكريم وحمايتهم من التعرّض للفصل التعسفي على حساب زيادة أرباح الشركات والمؤسسات، فإننا نطالب الدولة وفي ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي يواجهها العالم أجمع من جراء محاولة الدول الرأسمالية الكبرى فرض سياساتها وهيمنتها الاقتصادية على بقية دول العالم، أن تنظر بعين المسؤولية لأبناء الوطن من خلال تعزيز دور ومكانة العمالة الوطنية في العملية الاقتصادية والتصدي لمعضلة البطالة التي باتت تطال كل بيت بحريني، كما نطالب مجلس النواب أن يثبت فعلًا بأنه صوت الشعب من خلال التحرك الفوري لوقف عمليات فصل العمال واتخاذ موقف حازم يعيد لهؤلاء العمال وظائفهم ومحاسبة المسؤولين عن اتخاذ مثل هذه الإجراءات التي لا تخدم مصلحة الوطن أو المواطنين. ونثمن موقف "كتلة تقدم" البرلمانية التي أصدرت بيان تضامني مع العمال المفصولين في تلك الشركات".

وختم التقدمي بيانه بالتشديد "على ضرورة التعاطي مع هذا الملف باعتباره هدفاً إستراتيجياً للخروج من الحلقة المفرغة ومحورها الرئيسي المتجسد فى الأعداد المرتفعة من العاطلين، والتصدي لكل مكامن الخلل في هذا الملف وأسباب المراوحة فيه، والتخلص من الأرقام والبيانات التجميلية التي لا تعكس واقع الحال المؤسف، داعين إلى فتح حوار بين كل الأطراف المعنية بهذا الملف في الحكومة، والنواب، والقطاع الخاص، والهيئات والاتحادات العمالية والنقابية للخروج من المراوحة تجاه هذا الملف بهدف المعالجات الصحيحة والناجحة والفاعلة للخروج من حالة الوهن والمراوحة الحالية بما يعكس درجة الوعي بالتحدي الذى بلغناه حيال هذا الملف المؤرق".

سلمان: نرفض توجهات «أسري» ضد العمالة البحرينية وندعو إلى وقفها فورًا

أعرب عضو كتلة تقدّم عبد النبي سلمان، النائب الأول لرئيس مجلس النواب، عن رفض التوجهات التي تهدف إلى الاستغناء عن العمالة البحرينية تحت أي مسمى، مؤكدًا أن هذا النهج مرفوض تمامًا.

وأكد سلمان أن بعض إدارات الشركات ومجالس إداراتها تلجأ إلى الفصل التعسفي لمعالجة إخفاقاتها الإدارية على حساب الكفاءات الوطنية، مشددًا على أن هذا التوجه يعكس مسارًا خاطئًا ومدمرًا، في ظل استمرار وجود عدد كبير من العمالة الأجنبية دون مبررات واضحة.

وجاء تصريح سلمان على خلفية معلومات مؤكدة حول شروع «شركة أسري» في فصل عدد من الموظفين البحرينيين، حيث أشار إلى أن ما وصفه بالسياسات «التطفيشية» باتت تستفز الموظفين البحرينيين، خصوصًا مع قيام الشركة بجرد أعدادهم ومناصبهم، رغم خبراتهم وكفاءاتهم، في مقابل استمرار استقدام عمالة أجنبية تفتقر إلى نفس المؤهلات.

وطالب سلمان إدارة «أسري» بتقديم توضيح عاجل حول هذه الإجراءات، وتبيان المبررات وراءها، داعيًا إلى إعادة توزيع الموظفين البحرينيين داخل الأقسام بدلاً من فصلهم، ووقف استقدام الأجانب، وإحلال الكفاءات الوطنية دعمًا لتوجهات الحكومة ومجلس النواب، ووفاءً بحقوق المواطنين في العمل والترقي.

كما دعا وزارة العمل إلى التدخل العاجل لضمان تحقيق العدالة للعمالة الوطنية، مجددًا رفضه لما وصفه بـ»السياسات غير المسؤولة»، ومحذرًا من مساءلة برلمانية للإدارة في حال استمرار هذه الإجراءات العدائية ضد المواطنين.

كتلة تقدّم: دعم تدريب وتوظيف الكوادر الطبية ضرورة لتطوير القطاع الصحي

أكدت كتلة «تقدم» البرلمانية أهمية المبادرات التي أطلقها صندوق العمل «تمكين»، والتي تركز على دعم الكوادر الوطنية من أطباء وأطباء أسنان وممرضين.

وأضافت أن المبادرات السبع الجديدة تمثل انفراجة حقيقية في مسار تحقيق آمال المئات من خريجي التخصصات الطبية، خاصة إذا ما تم ربطها ببرامج توظيف مدروسة ومدعومة، داعية المستشفيات والمراكز الصحية في القطاعين العام والخاص إلى التفاعل الجاد معها وتجاوز العقبات التي قد تعيق تنفيذها.

وأكدت الكتلة دعمها الكامل لهذه الخطوات، انطلاقًا من مسؤوليتها الوطنية، مشددة على أهمية الاستفادة من الكفاءات البحرينية الشابة وتوفير الفرص لها للمساهمة في الارتقاء بالقطاع الطبي.

وأشارت إلى أن الكتلة كانت دائمًا في طليعة المطالبين بتسريع إدماج الكوادر الوطنية في مختلف القطاعات، وخاصة في القطاع الصحي، مؤكدة استمرارها في دعم أي توجه يسهم في توظيف أبناء وبنات الوطن وتحقيق الاستفادة من قصص النجاح السابقة، وصولاً إلى بيئة طبية متطورة يقودها أبناء البحرين.

جمعيات سياسية بحرينية تندد بقرار الكنيست الصهيوني ضمّ الضفة الغربية

نددت ثمان جمعيات سياسية بحرينية بقرار الكنيست الصهيوني المجحف، الذي يزعم فرض "السيادة" على الضفة الغربية المحتلة، مشيرة إلى أن هذا الإجراء يمثل خرقاً سافراً للقانون الدولي، واستهانةً بإرادة المجتمع الدولي، وينتهك صراحةً قرارات مجلس الأمن، خاصة الأرقام 242 (1967)، 338 (1973)، و2334 (2016)، التي تؤكد بطلان الاحتلال وكل إجراءاته التوسعية، بما فيها الاستيطان ومصادرة الأراضي.

جاء ذلك في بيان أصدرته جمعيات المنبر التقدمي، المنبر الإسلامي، التجمع الوطني الدستوري، التجمع القومي الديمقراطي، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، تجمع الوحدة الوطنية، الصف الإسلامي، الوسط العربي الإسلامي، أكدت فيه أن الكيان الصهيوني، بغطاء دعم أمريكي وأوروبي غير محدود، يتصرف وكأنه قوة عظمى، بينما هو في حقيقته كيان هش، ولولا هذا الدعم والصمت العربي والإسلامي غير المسبوق وغير المقبول لما بقيت إلا أضعف وأحقر كيان، يدار بقوة الاحتلال والإرهاب بدلاً من القانون والإنسانية.

وختمت الجمعيات بيانها بالتأكيد على أنه آن الأوان لخطوات عملية تكسر احتكار القوة وتعيد الحقوق المغتصبة، فالصمت اليوم خيانة.

فضفضة

الفراغ المـدنـي

عيسى الدرازي

بالتزامن مع اليوم الدولي للشباب، الذي يصادف الثاني عشر من أغسطس، تُعاد إلى الواجهة تساؤلات جوهرية حول واقع المشاركة المدنية للشباب في البحرين. ففي الوقت الذي تُرفع فيه الشعارات حول التمكين والانخراط المجتمعي، يعاني الفضاء المدني من فراغ آخذ في الاتساع، ليس فقط على مستوى المؤسسات، بل في عمق علاقة الشباب بالحياة العامة.

ومن أبرز مظاهر هذا الفراغ المدني في وطننا:

* الغياب شبه التام الذي لا يقتصر على الجمعيات الشبابية، بل يشمل معظم منظمات المجتمع المدني، باستثناء قلة محدودة لا تزال تجاهد للبقاء في المشهد. فبالرغم من تنامي الوعي لدى الشباب، وامتلاكهم لأفكار وخطابات متقدمة، إلا أن المساحات المتاحة لتنظيم أنفسهم في كيانات أهلية فاعلة تبقى محدودة، إن لم تكن مغلقة.

* البيئة القانونية الناظمة للمجتمع المدني في البحرين لا تزال تُعاني من القيود، سواء في شروط تأسيس الجمعيات، أو في متطلبات الترخيص، أو في القيود التي تُفرض لاحقًا على التمويل والأنشطة والتواصل مع الجهات الدولية. هذه القيود جعلت من تأسيس جمعيات شبابية مستقلة أمرًا شبه مستحيل، وأفقدت كثيرًا من المبادرات الشبابية العفوية حيويتها، إما بسبب تعقيد الإجراءات أو بسبب الإحباط من عدم الاعتراف الرسمي بها.

في المقابل، لم تقدّم الدولة بدائل جدّية لدعم العمل الشبابي المدني، ولم تتبنَّ سياسات ممنهجة لبناء بيئة تشاركية حقيقية تُمكّن الشباب من التعبير عن أنفسهم ضمن إطار قانوني حرّ وآمن، فالجمعيات القائمة حاليًا، سواء الرسمية أو شبه الرسمية، غالبًا ما تكون إما بعيدة عن هموم الشباب الحقيقية، أو تُدار وفق منطق الوصاية لا الشراكة، ما جعل الكثير من الشباب يشعرون بأن هذه الكيانات لا تمثلهم ولا تنطق باسمهم.

في ظل هذا الواقع، لم يجد الشباب في تلك الجمعيات منصات تعبّر عن أصواتهم، ولا آليات لصياغة مبادراتهم، ولا فضاءات للحوار الجاد والتأثير المجتمعي، الأمر الذي أسهم في تفكك العلاقة بين الشباب والعمل الأهلي، وعزّز مشاعر العزوف أو الانسحاب من المجال العام، بل وأفرز حالة من التوجس العام تجاه أي تنظيم غير رسمي.

إن غياب الدعم المؤسسي الفعلي للجمعيات الشبابية، وتقييد الفضاء المدني، لا يحرم فقط الشباب من حقهم في التنظيم والتعبير، بل يحرم المجتمع نفسه من طاقة خلاقة يمكن أن تلعب دورًا محوريًا في التجديد والتغيير والمساءلة. فدون أطر حرة ومستقلة، سيبقى الشباب خارج معادلة التأثير، وستبقى العلاقة بين الدولة والجيل الجديد قائمة على الاستهلاك لا المشاركة.

مدن: المنطقة مهددة بأخطر الاحتمالات جراء السياسات الصهيونية – الأميركية

وقف الرفيق د. حسن مدن أمام مجموعة من التطورات الخطيرة وبعيدة الأثر في نتائجها التي تعيشها المنطقة، بينها العدوان الصهيوني على غزّة المستمر حتى اليوم منذ السابع من أكتوبر 2023، وما تلاه من عدوان على سيادة لبنان، ثم تغيّر النظام في سورية، وأخيراً الحرب بين إسرائيل وإيران التي استمرت اثني عشر يوماً، ورأى مدن أن مجموع هذه الأحداث مترابطة، متداخلة، الواحد منها يلي الآخر أو يفضي إليه، وبالتالي يتعين قراءتها في إطارها الشامل، مشيراً إلى أن جوهر كل ما يجري يتصل بعدم حلّ القضية الفلسطينية وحرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه، بسبب السياسات الإجرامية للعدو الإسرائيلي المدعوم من الإمبريالية الأميركية والغربية عامة.

وأشار مدن في محاضرته، التي أدارها الرفيق حميد الملا، إلى أنه ينطبق على كل هذه الأحداث وصف «الأقواس المفتوحة»، حيث لم تغلق الأقواس فيها كلها، وأنها ما زالت مشرعة على مختلف الاحتمالات، بما فيها أسوأها وأشدّها خطورة، وينطبق هذا على ما يجري في غزة وفلسطين عامة، وفي لبنان وسورية، وفي احتمالات مواجهات إسرائيلية – إيرانية قادمة.

وأضاف المحاضر أنه رغم الوحشية الصهيونية المتمادية في غزّة، من قتل وتدمير وتهجير وتجويع، فإن العدو أخفق حتى اللحظة في تحقيق أهدافه المعلنة من عدوانه: استعادة أسراه، والقضاء على المقاومة، بفضل أشكال التصدّي الفلسطيني الجارية اليوم في القطاع والتي توقع خسائر بشرية موجعة في العدو من دون أن تكون لديه القدرة على إنهائها، فليس لدى المقاومين ما يخسرونه؛ أرضهم محتلة، مدنهم وبلداتهم مدمّرة، المجاعة تنال من أبناء شعبهم، والسبب هو العدو الذي يقاومونه.

وتوقف مدن أمام سياسة إدارة ترامب الحالية الشريكة الفعلية لحكومة نتنياهو في كل ما يجري في المنطقة، سواء في استمرار العدوان على غزّة ولبنان أو في المواجهة العسكرية مع إيران، او في إعادة ترتيب الوضع الداخلي في سورية بما يخدم أهداف الصهاينة والأميركيين وحلفائهم، واصفا سياسة ترامب بالكولونيالية العقارية، وهي سياسة توسعية تدار بذهنية رجل أعمال لا بذهنية رجل دولة، ولا يمكن إغفال وجه التناقض البيّن بين شعار ترامب «أميركا أولاً» والنزعة الكولونيالية الجديدة التي بات يفصح عنها، حدّ التطاول على الحقائق الجغرافية، وفي سياق هذه الكولونيالية، تأتي دعوته إلى بسط السيطرة الأميركية على قطاع غزّة، وتهجير أهلها الذين يفوق عددهم المليونين نسمة.

وفي تناوله للملف السوري أشار مدن إلى المخاطر الكبرى التي تهدد النسيج الوطني في سورية، ومخاطر انجرار البلد إلى حروب أهلية من خلال استهداف الاقليات العرقية والدينية في البلد، بالصورة التي وجدنا تجليات دموية لها فيما جرى في الساحل السوري وفي منطقة السويداء، متوقفاً أمام الدور الإسرائيلي فيما يجري، من خلال احتلال أراض سورية، واستهداف القدرات العسكرية للدولة السورية.

أسامة العلي يتحدث في ملتقى التقدمي عن فهم الأحداث بعين التحليل

استضاف ملتقى التقدمي الأسبوعي المستشار الاقتصادي والمحلل د. أسامة العلي في محاضرة بعنوان: «النظر بعين التحليل: فهم الأحداث وتحليل مآلاتها الإستراتيجية"، قدّم فيها رؤية فكرية تساعدنا على فهم الأحداث الجارية في المراحل المختلفة، مستعيناً بالمناهج العلمية المعنية بتحليل السلوك البشري، وآلية عمل العقل البشري، بما في ذلك أشكل تجليات اللا وعي في نشاط الإنسان.

ووقف المحاضر عند ثلاثة محاور أساسية، أولها: الأحداث والإنسان، حيث أن البشر ما يكادوا يخرجون من صدمة ما حتى يدخلوا في أخرى، ما يجعلنا نتساءل عما إذا كان ما نعيشه هو أمر عارض، أم أنها سنّة الحياة، فما من جيل من الأجيال نجا من أن يكون طرفاً في أحداث معينة أو شاهداً عليها، فالأحداث لصيقة بالإنسان، الذي يبذل جهداً كبيراً لكي يعيش أفضل، بعيداً عن النزاعات، والتغلب على نزعتها اللصيقة به، لذلك فالدول التي تنشد السلام والاستقرار تبذل جهداً أكبر للعيش بسلام حتى لا تجنح نحو المواجهات.

أما المحور الثاني فهو معرفة كيف نتعامل مع المعلومة، وما هي أسرار عمل العقل، فمثل هذه المعرفة ضرورية لكي نكون أكثر دقة في التعامل مع الأمور.

فيما تطرق الباحث في المحور الثالث إلى القوالب التي نضع فيها هذه الأحداث التي تمر علينا كي نضعها في حجمها الحقيقي، حيث لا يصحّ وضعها كلها في قالب أو مستوى واحد، فلكل قالب من هذه القوالب مواصفاته ومخرجاته من خلال تقسيم الأحداث.

من جهة أخرى أكّد العلي أن الاحداث الكبرى هو ما يحرك المياه الراكدة في حياة الأمم والعالم، فما من بلد لا يقف عند أحداث فاصلة في تاريخه، مثل يوم الاستقلال أو ذكرى التأسيس، وغيرها من أحداث غيّرت مجرى تاريخ البلد المعني.

ويهتم الباحثون بالبحث عما ستنجم عنه المواجهات أو الأحداث الكبرى التي تنبئ بمن هي القوة أو الحضارة الصاعدة، وبالمقابل من هي القوة أو الحضارة المشرفة على نهايتها، وهي نظرة تتخطى القراءة السردية للتاريخ، لتنظر في ما هو أبعد.

حذّر المحاضر من "تحيزات» أربعة في النظر إلى الأحداث، هي على التوالي: تحيز الإنتماء الأعمى لمجموعة أو فكر او مدرسة، وهو من أكبر التحيزات التي تبعدنا عن الحقيقة، أما التحيّز الثاني فناشئ عن الخوف من المألوف أو المعتاد، الذي يجعلنا عاجزين عن النظر للأمور بواقعية، وملاحظة أن مفاهيم وقوى جديدة قيد الصعود، والتحيز الثالث هو عدم تصديق أي تحليل أو معلومة مصدرها الخصم أو حتى المنتمي لمدرسة فكرية أو سياسية مختلفة، والتمسك بعدم الخروج عن السرب، فيما أسمى التحيز الرابع ب "التأكيدي»، أي البحث عما يؤكد صحة ما نؤمن به، دون تحكيم العقل الذي قد يرينا أن هناك ما ينفي صحة فكرتنا، وهو محذور وقع فيه حتى كبار الفلاسفة ودعاة حرية الفكر.

يوم الشباب العالمي

شباب البحرين بين الطموح والواقع: آمال مؤجلة واحتياجات غائبة

مع اقتراب اليوم العالمي للشباب، الذي يُصادف الثاني عشر من أغسطس من كل عام، يتجدد الحديث حول قضايا الشباب البحريني، ليس من باب الاحتفال الرمزي، بل من باب الحاجة الملحة لفهم واقعهم، والاستماع إلى أصواتهم، وتفكيك التحديات التي تعترض طريقهم نحو حياة كريمة ومستقرة تليق بطموحاتهم.

في بلد يشكل فيه الشباب النسبة الأكبر من السكّان، يتساءل كثيرون: لماذا لا يزال الشعور بالخذلان حاضرًا؟ ولماذا تتحول الطموحات إلى انتظارات مؤجلة؟ ولماذا يشعر بعضهم بأن الطريق إلى الاستقرار – سواء المهني أو الاجتماعي أو السياسي – بات أطول وأصعب من أي وقت مضى؟

البطالة.. معركة البحث عن فرصة

يشكّل ملف البطالة محورًا مركزيًا في معاناة شريحة واسعة من الشباب البحريني، خصوصًا أولئك الذين أنهوا تعليمهم الجامعي أو المهني. فعلى الرغم من التصريحات الرسمية التي تتحدث عن مؤشرات تحسّن في معدلات التوظيف، إلا أن الواقع على الأرض يقول شيئًا آخر.

الوظائف المتاحة إما محدودة، أو مشروطة بعقود مؤقتة وغير مستقرة، أو لا تتناسب مع مؤهلات المتقدمين. والأسوأ، أن المنافسة مع العمالة الوافدة ما زالت قائمة في قطاعات كثيرة، ما يخلق حالة من الإحباط والشعور بعدم العدالة.

عقود العمل المؤقتة.. انعدام الأمان والاستقرار

يعيش العديد من الشباب ممن التحقوا بسوق العمل تحت وطأة العقود المؤقتة أو التشغيل بالساعة، ما يجعل مستقبلهم المهني معلقًا على تجديد سنوي قد لا يحدث، ويُعقد قدرتهم على التخطيط لحياتهم، أو حتى الاستفادة من برامج الإسكان والقروض البنكية، التي غالبًا ما تتطلب عقودًا دائمة ودخلًا ثابتًا.

الإسكان.. انتظار يمتد لسنوات

لا يمكن الحديث عن استقرار الشباب دون التطرق إلى أزمة الإسكان التي باتت تثقل كاهلهم. فطلبات الانتظار تطول، والأسعار ترتفع، والحلول المطروحة لا تواكب الحاجة الحقيقية، مما يدفع كثيرًا من الشباب إلى البقاء في منازل ذويهم رغم تقدمهم في العمر، أو إلى استئجار وحدات بأسعار تفوق طاقتهم، ما ينعكس سلبًا على قرار الزواج وبناء الأسرة.

ريادة الأعمال.. الفكرة تصطدم بالواقع

يرى الكثير من الشباب أن العمل الحر هو مخرج بديل عن البطالة أو الوظائف الضعيفة، لكن حين يتحول الطموح إلى مشروع فعلي، تبدأ التحديات: التمويل صعب، الإجراءات طويلة، السوق محتكر من قبل أسماء كبيرة تملك النفوذ والدعم، والمنافسة غير عادلة. أما الدعم المؤسسي، فغالبًا ما يذهب لمشاريع «نمطيّة» تخدم الصورة لا الواقع، بينما يُترك

المبدعون دون من يحتضن أفكارهم الجريئة.

المشاركة السياسية.. حضور باهت وصوت غائب

لم يعد خافيًا تراجع اهتمام الشباب البحريني بالشأن العام، لا من حيث المشاركة السياسية ولا من حيث الانخراط في مؤسسات المجتمع المدني. فبين من يشعر أن صوته لا يؤثر، ومن يرى أن المشهد مغلق ولا مساحة فيه للشباب، بات العزوف سمة سائدة.

هذا التراجع لا يعني ضعف الوعي، بل هو انعكاس لفقدان الثقة، ولغياب بيئة حاضنة تحترم الرأي الآخر، وتفسح المجال الحقيقي للمشاركة لا الشكلية.

ما بين الواقع والمأمول.. ما الذي يحتاجه الشباب فعلًا؟

في الوقت الذي يملك فيه الشباب البحريني طموحات كبيرة، وإرادة صلبة، وأفكارًا رائدة، تصطدم هذه الإمكانات بسياسات لم تعد قادرة على مواكبة التحولات. الشباب لا يطلبون امتيازات، بل حقوقًا أساسية: وظيفة لائقة، وسكن كريم، وفرصة للتعبير، وشراكة حقيقية في صياغة المستقبل. يريدون أن يكونوا شركاء لا متلقين، فاعلين لا متفرجين، ومبادرين لا متهمين.

ومن خلال قراءة الواقع الذي يعيشه الشباب البحريني اليوم، يتضح أنّ الفجوة بين الطموحات الفردية والسياسات العامة ليست مجرد فجوة إدارية أو تقنية، بل هي فجوة في التصورات والتوجهات. فالشباب لا يطلبون امتيازات خاصة بقدر ما يطالبون بفرص عادلة، وبيئة حقيقية تحترم وجودهم وتمنحهم أدوات الفعل لا مجرد الشعارات.

من هنا، فإن أي سياسة تنموية جادة تجاه الشباب يجب أن تبدأ أولاً بالاستماع إلى أصواتهم من دون وسطاء، وتفهم أولوياتهم التي لم تعد تقتصر على التعليم والعمل فقط، بل تشمل أيضًا الكرامة، والتمثيل، والمشاركة، والاستقرار الاجتماعي والنفسي.

هناك حاجة ماسة لإعادة هيكلة السياسات الاقتصادية بحيث تضع الشباب في قلب خطط التنمية، وليس على هامشها. على الدولة أن تضمن تكافؤ الفرص في سوق العمل، وأن تراجع بجرأة ملف العقود المؤقتة وضعف الأمان الوظيفي، لأن غياب الاستقرار المهني يخلق جيلاً مرتبكًا، يعيش على الهامش في بلده.

في ملف ريادة الأعمال، لا تكفي المبادرات الرمزية أو الدعم الانتقائي، بل يجب تأسيس بنية تحتية اقتصادية واضحة تُسهل على الشباب التأسيس والنمو والمنافسة، بعيدًا عن الإقصاء من السوق الذي تحتكره النخبة التجارية أو المشاريع الكبرى المدعومة.

أما على الصعيد السياسي والمجتمعي، فإنّ الحديث عن تراجع المشاركة لا يمكن معالجته عبر الحملات الإعلامية، بل عبر إصلاحات قانونية وتشريعية تعيد بناء الثقة بين الشباب ومؤسسات الدولة، وتفتح أمامهم فضاءات للتعبير والتنظيم والمساءلة.

غياب الجمعيات الشبابية المستقلة ليس عَرَضًا، بل نتيجة منطقية لواقع قانوني مقيد، يحتاج إلى مراجعة جذرية تعيد للمجتمع المدني عافيته.

ما يحتاجه الشباب اليوم ليس مجرد الاحتفاء بهم في المناسبات، بل التأسيس لعقد اجتماعي جديد يُشركهم في صناعة القرار، ويمنحهم الثقة والدور والمسؤولية، باعتبارهم ليس فقط «شريحة سكانية» بل طاقة وطنية كبرى لا يمكن تجاهلها. الإصغاء إليهم بصدق هو البداية، أما تمكينهم الحقيقي، فهو المسار الذي لا بد أن يُفتح الآن، قبل أن يُغلق الأمل خلف جدران اللامبالاة.

الاتحاد العام للنقابات يواصل حملته التوعوية لمواجهة الإجهاد الحراري

واصل الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين حملته التوعوية حول مخاطر العمل في الصيف، من خلال زيارة ميدانية إلى أحد مواقع شركة مدينة الخليج للتنظيف في المنامة، بالتعاون مع النقابة العمالية بالشركة.

تضمنت الزيارة توزيع نشرات إرشادية وهدايا عينية، إلى جانب تقديم إرشادات مباشرة حول سبل الوقاية من ضربات الشمس وأهمية الالتزام بساعات الحظر.

وتأتي هذه الزيارة ضمن سلسلة من الفعاليات الميدانية التي ينفذها الاتحاد حتى 15 سبتمبر، لتكريس ثقافة السلامة المهنية.

«الأيام» – 8 يوليو 2025

وزارة العمل تنظم ورشة حول «حظر العمل وقت الظهيرة» و«الإجهاد الحراري»

نظّمت وزارة العمل، بالتعاون مع جمعية الصحة والسلامة البحرينية والمنظمة الدولية للهجرة، ورشة عمل توعوية بعنوان «حظر العمل وقت الظهيرة والوقاية من الإجهاد الحراري»، بحضور وكيل الوزارة سمو الشيخ خليفة بن سلمان بن محمد آل خليفة، وعدد من الشركاء الاجتماعيين وممثلي غرفة التجارة والنقابات.

هدفت الورشة إلى تعزيز الوعي بالإجراءات الوقائية لحماية العمال من مخاطر ارتفاع درجات الحرارة خلال الصيف، والتأكيد على الالتزام بالتشريعات الوطنية، لا سيما القرار الوزاري رقم (3) لسنة 2013 المعدل، الذي يحظر العمل تحت أشعة الشمس من الساعة 12 ظهرًا حتى 4 عصرًا خلال الفترة من 15 يونيو إلى 15 سبتمبر.وتضمنت الورشة جلسة حوارية حول أهم أمراض الصيف وسبل الوقاية منها، ضمن الجهود الوطنية لتعزيز ثقافة السلامة والصحة المهنية.

«الوطن» – 10 يوليو 2025

نقابة عمال «أسري» تكرم الفائزين بمسابقة مهارات الشباب

نظّمت نقابة عمال شركة «أسري» حفلًا لتكريم الفائزين في المسابقة الشبابية الصحية، بمناسبة اليوم العالمي لمهارات الشباب، الذي يصادف 15 يوليو.

وأشاد رئيس النقابة، عبدالله المسجن، بمشاركة الشباب وتفاعلهم، مؤكدًا أهمية تعزيز وعيهم الصحي والمهني خلال فترة الصيف. وقد أطلقت المسابقة بالتعاون بين لجنتي الشباب والصحة والسلامة بالنقابة، واستمرت من 10 إلى 14 يوليو.

«الأيام» – 14 يوليو 2025

منظمة العمل الدولية تدعو لتعزيز الاستثمار في الحماية الاجتماعية

دعت منظمة العمل الدولية إلى تعزيز الاستثمار في أنظمة الحماية الاجتماعية، عقب مشاركتها في المؤتمر الدولي الرابع لتمويل التنمية بإشبيلية (30 يونيو – 3 يوليو).

وأكد المدير العام للمنظمة، جيلبرت هونغبو، أن «اتفاق إشبيلية» يمثل إطارًا دوليًا عمليًا لتحقيق العدالة الاجتماعية، مشيرًا إلى أن أكثر من 3.8 مليار شخص ما زالوا محرومين من الحماية الأساسية.

وشددت المنظمة على ضرورة دمج سياسات الحماية الاجتماعية في الخطط الوطنية وتوسيع التغطية، خاصة في الدول النامية، لضمان عدم ترك أحد خلف الركب في جهود التنمية العالمية.

وكالات – 4 يوليو 2025

فايننشال تايمز: مستقبل الخريجين الجدد يواجه تحديات غير مسبوقة

سلّطت صحيفة فايننشال تايمز الضوء على تفاقم أزمة توظيف الخريجين الجدد في الدول المتقدمة، وسط صعود الذكاء الاصطناعي وضغوط ما بعد الجائحة.

وأشارت إلى ارتفاع معدلات البطالة بين خريجي الجامعات في الولايات المتحدة وبريطانيا، وحتى بين خريجي نخبة الجامعات مثل هارفارد ومعهد MIT. كما تراجعت فرص التوظيف في قطاعات المحاسبة والقانون والاستثمار، بينما تتجه الشركات نحو مراكز أرخص مثل الهند لأداء مهام تخصصية.

وحذّرت الصحيفة من أن توسّع التعليم الجامعي دون توافر وظائف مناسبة يُفاقم الفجوة بين المؤهلات وسوق العمل. وأوصت بضرورة ربط التعليم العالي باحتياجات السوق، وتعزيز التدريب المهني، وتحديث المناهج لمواكبة تحوّلات العمل.

فايننشال تايمز – 7 يوليو 2025

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

65 مليون شاب عاطل عن العمل عالميًا في 2024

أظهرت بيانات منظمة العمل الدولية أن عدد الشباب العاطلين عن العمل حول العالم بلغ 65 مليونًا في عام 2024، فيما بلغت نسبة غير المنخرطين في التعليم أو العمل أو التدريب 20.4٪.

وتفاوتت معدلات البطالة بين الدول؛ ففي الدول منخفضة الدخل، لا يعمل سوى 20٪ من الشباب بين 25 و29 عامًا، بينما يعمل 80٪ في الدول مرتفعة الدخل.

وفي العالم العربي، ما تزال البطالة بين الشباب من أبرز التحديات، حيث يُتوقع أن تبلغ نسبتها 9.8٪ في 2024، نتيجة عوامل مركبة كعدم الاستقرار السياسي وضعف القطاع الخاص.

وتُقدّر فجوة الوظائف في المنطقة بنحو 23.7٪، مع وجود أكثر من 17.5 مليون شخص يبحثون عن عمل.

الجزيرة نت – 11 يوليو 2025

معضلة البطالة والسياسات النيوليبرالية

لماذا نعجز في البحرين حتى الآن عن إيجاد حلول ومعالجات مقنعة لمعضلة البطالة المستشرية في صفوف شباب وشابات الوطن بمختلف تخصصاتهم وخبراتهم ومستوياتهم التعليمية؟! ولماذا على البحريني أن يستمر في حالة من التذمر والشكوى والإحباط، وهو الذي لم يعد في وارد المقارنة بينه وبين أقرانه في دول مجلس التعاون الخليجي، مع تفاوت وتباين الأوضاع بين دولة وأخرى؟! فالشاب البحريني أضحى مكتفياً، بل ومقتنعاً بكل أسف بكيفية ايجاد فرصته في الحياة وأن يحظى بشيء من الكرامة والتقدير!، ولماذا تعجز الحكومة باستمرار، ويحبط أعضاء مجلس النواب جرّاء إنعدام الإجابات الشافية لتساؤلاتهم المستمرة، التي لم تتوقف يوماً وفي كل جلسات ومطارحات المجلس تجاه قضية البطالة التي كبرت وتضخمت خلال العقدين الأخيرين خاصة، بفعل الإهمال الرسمي وغياب الحلول او حتى الإيمان بأهمية معالجتها؟!.

عبد النبي سلمان

أسئلة عديدة تتوالد منها تساؤلات تتسع باتساع وتشعب هذه القضية المعضلة، والتي يعلم الجميع أن لها تداعيات تنذر على الدوام بمخاطر اجتماعية ومعيشية وحتى أمنية، بكل أسف!!

إننا في البحرين بحاجة للمصارحة بشكل أعمق مما اعتدنا عليه خلال الفترة الماضية بشأن معضلة البطالة، التي بتنا نتلمس فعلياً مخاطرها الداهمة، وهي تكاد تحرق أعمار ومستقبل شبابنا بمختلف انتماءاتهم، علاوة على أنها باتت توّلد معها وجوهاً متعددة من الفساد المستشري، واليأس الذي يقود حتما نحو ممارسات غير مقبولة مجتمعياً، كالتحايل على القانون والالتفاف على المسلمات والقيم، وبروز نزعات غير مسبوقة من الأنانية في المجتمع وعدم الاكتراث كثيرا بالحالة الوطنية، والتركيز بدلاً عن ذلك على الانتماءات الفرعية والمصالح الضيقة، وضيق الأفق وعدم الوضوح في الرؤية والأهداف، والتخندقات الضيقة، ونشر وجوها من الكراهية تجاه الآخر المختلف، مما أضحى معززا لتلك الانتماءات الفرعية، والعمل على تجذيرها في نظرات وممارسات الفرد والجماعات المختلفة، ومن منطلقات إما أن تكون طائفية أو قبلية أو شللية أو مذهبية.

مثل هذه الأمور لم تكن قد خرجت للسطح بمثل هذا الوضوح، لكنها اليوم أصبحت معلومة للجميع، وإن تبقى لدى القلة شيء من الخجل عن الإفصاح عنها، إلا أننا سرعان ما نجدها في ممارسات البعض وحتى في ممارسات بعض النخب والشخصيات التي باتت تجد في مثل تلك التوجهات والسلوكيات المريضة دافعاً لبروزها الآثم في محيطها النفعي الضيق!!

هل تساءلنا لماذا تنتشر ممارسات مرفوضة كالمخدرات والضياع والانفلات في أوساط الشباب؟! المسألة لا يجب ان تنحصر في استسهال القول إن هذه ضريبة المدنيّة ودخول وسائط التواصل الاجتماعي، فهذا الطرح هو تبسيط لحالة أعقد تحتاج بالفعل لمعالجات سياسية واجتماعية واقتصادية اعمق من كل ذلك بكثير.

فمثلا علينا الاعتراف أن هناك تشظيّات وترسبات وتقسيمات مجتمعية وسياسية في عقول بعض المسؤولين والتجار ولوبيات المصالح والنخب وحتى العامة من الناس، جراء الكثير من التحديات والمصاعب التي عشناها ونعيشها لفترات، وآن الأوان للاعتراف بها أولاً ومن ثم الشروع في إيجاد حلول عاجلة لها مهما كلفنا ذلك من جهود وتضحيات ومصارحة.

كذلك هناك غياب واضح لأي سياسات ورؤى تنتشل مجتمعنا من حالة السكون والمراوحة والتناسي والمشاغلة بقضايا هامشية إلى حالة أخرى أكثر إيجابية وعطاء واستنهاضاً للقيم والواعز الوطني والأخلاقي الذي به تستقر النفوس وتهدأ، ولو قليلاً، مشاعر الإحباط، والتسيب ونزعات الأنانية المريضة، والعودة، ولو تدريجياً، لروح المجتمع المتسامح المتعايش، القادر بوعي أن يستعيد دوره مع الدولة وبقية شرائح المجتمع ضمن نسق وطني لا يعطي وزناً إلا لمسألة النهوض والبناء، والتراحم الفعلي بين مكونات المجتمع.

نحن في حاجة ماسة للاعتراف أن نهجنا الاقتصادي الذي فرضته أجندات ليست أجنداتنا، بل هي سياسات تلقائية فرضها النهج النيوليبرالي الذي أضحى متحكماً في عجلة اقتصادنا بكل أسف، وأضحى مُولداً لمعضلة البطالة المتعاظمة وتراجع المستوى المعيشي لشرائح واسعة في مجتمعنا، وحجم اقتصادنا الصغير الذي لو قُيظّ له أن يستمر على الأقل على ما بدأناه منذ مطلع سبعينيات القرن الماضي باتجاه بعض وجوه الاقتصاد المنتج، الذي تعززت معه عجلة الاقتصاد الوطني وشهدنا معها طفرات تنموية مهمة، استدعت توظيفاً مقبولاً لمواردنا وعمالتنا الوطنية في مختلف القطاعات الإنتاجية والصناعية والمصرفية وبعشرات الآلاف من الشباب البحريني، والذي بسببها عمرت المدن وشيدت الجامعات والمعاهد وتطورت البنية التحتية، وازدهر اقتصادنا الوطني حينها بتنوّع مقبول نسبياً، وزادت صادراتنا للعالم من حولنا إلى آخرً ذلك من قول.

قادنا النهج النيوليبرالي إلى بيع الكثير من أصولنا التي بُنيت بجهود الدولة وعرق العاملين فيها، كما حدث بالضبط في قطاعات المال والصيرفة والبنوك والطاقة ومحطّات الكهرباء والألومينيوم والبتروكيماويات والخدمات المتنوعة وغيرها، لنشهد بعدها تراجعات جمة، وعرقلة واضحة لاقتصادنا الوطني، وتقلص تنافسيته وتراجع إيراداته، وزيادة حدّة الفصل التعسفي في صفوف عمالتنا الوطنية كنتيجة فعلية فرضتها مقاييس التنافسية الجديدة المطلوبة لسوق عمل صغير لا يحتمل كل تلك التشوهات، التي لا يزال البعض يكابر في الاعتراف بها رغم أنها ظاهرة كالشمس!

يُضاف إلى كل ذلك غياب القرارات الحاسمة والرؤية والاستراتيجيات المدروسة، التي تابعنا كيف سارعت إليها العديد من دول الجوار وفعلتها على الأرض، فيما تخلفنا نحن مكتفين بأرقام ونسب ربما تصلح للترويج لكنّها في أغلبها لا تمت لواقعنا الاقتصادي والمعيشي بصلة، بكل أسف، وترددنا كثيرا حيال حسم أمور لا تحتمل التأجيل!

خلاصة القول وأمام كل ما يجري في سوق العمل من أوضاع غير مستقرة ومن ممارسات وتشوهات وفصل تعسفي لعمالتنا الوطنية في الشركات الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، كما يحدث الآن تحديداً، في مقابل جموح غير مبرر للاعتماد على العمالة الأجنبية التي كانت يوما تعتبر رخيصة التكلفة، إلا أنها لم تعد كذلك، بل أضحت تمثل لنا كابوساً يلاحق ما تبقى لاقتصادنا الوطني من مقوّمات كما يلاحق أعمار شباب الوطن في أرزاقهم ومستقبلهم وآن الأوان لقرارات عاجلة تقودها الدولة، ويعززها القرار الوطني الحاسم الذي حتماً سيجد تجاوباً من قبل الجميع حتى نستعيد شيئا مما خسرناه ونوقف تراجعاتنا الاقتصادية والمعيشية عبر رؤية وطنية متوازنة لا تقبل المراهنة على مستقبل الوطن وأبنائه.

سياســـــة الضـــرائـــب وتـــراجـــع الإصـــلاح السيـــاســـــي والإقتصـــــادي

تكمن أهمية كلمة السياسة في التجسيد الحقيقي لها في الإدارة والسلطة والحياة العامة. وعندما يتراجع هذا الدور الرئيسي لها، بتغييب قيمتها المركزية في الإصلاح والتطوّر والتنمية؛ فإن ذلك يعني، تلقائياً، تكريس حالةٍ من الإخفاق والتراجع، في عملية الإصلاح السياسي والإقتصادي.

في ظرفنا الراهن في البحرين، أصبحت كلمة «السياسة» مقترنة، غالباً، بالجمود والتراجع في الإصلاح السياسي والإقتصادي. وليس في هذا التوصيف مبالغة، عندما نتابع التصريحات الرسمية والتوجهات الحكومية، المتعلقة بما تمَّ وصفه بـ "برنامج التوازن المالي"؛ والذي تنتهج فيه الحكومة سياسة الحلول المؤقتة لأزماتٍ جذرية.. في ظل غياب الرقابة والمحاسبة؛ على ملفات الفساد والبطالة، والتشريع الحقيقي في إدارة الأموال العامة.

يتحدث الخطاب الرسمي في بلدنا عن أهمية ومكانة المواطن البحريني ومكتسباته. ولكن، هذا الخطاب الإيجابي، لا يتجاوز الكلمات إلى الأفعال؛ وكأنه ينتمي إلى أزمةٍ من الإزدواجية التي تمتاز بها المجتمعات العربية دون غيرها من المجتمعات – والتي لازال الإعلام فيها يعمل بالمنهج التقليدي؛ في زمن الميديا الحديثة والعولمة الواضحة. وليست المسألة مقتصرة على الإعلام ، بل تتصل بطبيعة صياغة السياسات وتحديدها بشكل عام – أي عبر دوائر النفوذ والقرار التيً تعمل بمنهجية الجمود والإستفراد بالإدارة والقرار.. بدلاً من منهجية الإصلاح والمشاركة السياسية؛ عبر الأدوات القانونية والدستورية الفاعلة.

اغتراب الإنسان أم اغتراب الأوطان..؟

لقد تبادرت إلى ذهني الكلمات أعلاه، عندما نقرأ في مستجداتنا المحلية في البحرين المرتبطة بالنوايا الحكومية والتحديات الإقتصادية في مسألة المعالجة والحلول؛ للسياسات المالية ومشروع الميزانية العامة، والكتابة في هذه التفاصيل تجعلني أتحدث عن ضرورة تجاوز الذاتي نحو الموضوعي، ولكن الإنحياز للموضوعية، الذي يتجاوز الذات، سيكون نوعاً من التناقض والإزدواجية؛ وسط التحدّيات والحروب الكبيرة التي تشهدها المنطقة، من حرب الإبادة على غزّة، إلى العدوان والحرب على لبنان، والتي ساهمت كثيراً بتوضيح الحقائق والتحوّلات، لقيمة الأوطان والأمان والإستقلال؛ في ظل مخاطر الإحتلال والتطبيع وطبيعة المصالح الإقتصادية والوطنية، التي تتطلب منا الوعي وتحمل المسؤولية؛ من أجل المحافظة على هويتنا ومصالحنا وحقوقنا.

دعونا نتسائل من جديد: اغتراب الإنسان أم اغتراب الأوطان..؟ نعم، نحن نعيش في هذا كله؛ من الأزمات المحلية في وطننا الصغير البحرين، إلى الحروب الملتهبة في جغرافيا المنطقة التي ترسم معالمها الجديدة بل ومعالم العالم.

أصبح التراجع المالي ونُدرَة فرص العمل في حياتنا البحرينية، يشكلان عبئاً نفسياً كبيراً على حياة المواطنين؛ خاصة الشباب والشابات والخريجين والخريجات. وعندما ترد على أسماعنا التوجهات التي تحاول زيادة الضغوط والأعباء المعيشية والإقتصادية على البحرينيين؛ فإن ذالك، يزيد من الهواجس والتحديات، على مستقبل المعيشة ومتطلبات الحياة الكريمة، رغم أن البحرين بلد صغير محدود المساحة وعدد سكانه يقترب من المستوى الطبيعي، بالنسبة لمتطلبات السكن والتعليم والصحة؛ في ظل الإمتيازات والموارد والثروات، الغنية المتوفرة في بلدنا، التي تعاني، للأسف من أزمات سياسية واقتصادية، مردّها السياسات الرسمية المتبعة التي جعلتنا نواجه أصعب التحدّيات وأعقدها، خاصة بعد تداعيات أحداث عام 2011 وما تلاها من تبعات.

أزمة الدين العام تتصاعد بشكل كبير جداً، مما يتطلب منا، مجتمعاً وحكومةً؛ أن نُتسائل عن الأدوار التشريعية والرقابية سواء من قبل السلطة التشريعية أو من الصحافة ووسائل الإعلام، على هذا الإنحدار والتراجع في السياسات المالية والإقتصادية، وتدل تجربة البلدان الديمقراطية أهمية صلاحيات السلطة التشريعية ومساحة الجرية المتاحة للصحافة الحرّة في تنوير المجتمع، ونقد سياسات الإهمال والفساد الكامنة فيه، على مستويات الإدارة والسلطة.

إن سياسة الضرائب المتبعة من الدولة هي في الحقيقة، حلولٌ ترقيعيةٌ وغير عادلة؛ في بلدٍ ينعم بالخيرات ومصادر الدخل المتعددة. وحديثنا هنا ليس من فراغ، بل هنالك الكثير من الدلائل والأمثلة؛ التي يستطيع الإقتصاديون البحرينيون المخلصون، الإجابة عنها بوضوح ومسؤولية. وفي هذا السياق، هنالك ملفات عديدة ومليئة بالأرقام؛ تؤكد أن المعالجة ممكنة من خلال الرقابة والشفافية؛ وتفعيل مبدأ الإصلاح والمحاسبة، فالمجتمعات الحديثة لا تستطيع النهوض أو التقدّم مِنْ دون مشاريع الإصلاح السياسي والإقتصادي. وبلدنا البحرين، يقع على رأس الدول في المنطقة الخليجية؛ التي هي بحاجة إلى مثل هذه المبادرات الإصلاحية على مستوى الإدارة والسياسة والعدالة، وأيضاً على مستوى تعزيز قيم الإنتماء والهوية، فليس من العدل والإنصاف أن يبقى وطننا العزيز اسيراً لمفاهيم الشح والنُّدرَة، في حين أن المساحة والفكر والمكتسبات والقيم الطليعية والإنسانية تنشد الإنجاز والتقدّم والوفرة، انطلاقاً من قواعد المواطنة البحرينية والتأهيل المهني والأكاديمي؛ وأيضاً من قواعد الهوية والإنتماء للمصلحة البحرينية العامة.

وضعنا الاقتصادي والعيشي، وكذلك السياسي، الراهن لا يحتمل أن نصبح مختبراً للتجارب الإقتصادية والمالية، فالمطوب هو مواجهة الأزمات السياسية والإدارية، بمشاريع الإصلاح السياسي والإقتصادي.

جعفرمحمد

تحديات إصلاح التقاعد ونهج إدارة سوق العمل في البحرين

لا يغيب عن ذهن أي متابع لملف التقاعد في مملكة البحرين التحذير الشهير الذي أطلقه المدير العام الراحل للتأمينات الاجتماعية، الشيخ عيسى بن إبراهيم آل خليفة، خلال جلسات الفصل التشريعي الأول لمجلس النواب، حين حذّر من إفلاس صندوقي التقاعد والتأمينات الاجتماعية. حيث كانت تلك الصرخة بمثابة ناقوس خطر أدّى إلى تشكيل أول لجنة تحقيق نيابية، تبعتها لجان تحقيق متعددة في معظم الفصول التشريعية، على امتداد التجربة النيابية.

ترافق هذا الحراك النيابي مع تحذيرات مستمرة من الجهات المعنية، لاسيما الجانب الحكومي، التي أكدت مرارًا أن السبب الرئيس وراء تدهور الوضع المالي للصناديق التقاعدية وبلوغها مرحلة "الإفلاس الاكتواري"، ومن ثم الإفلاس الحقيقي، يعود إلى عاملين أساسيين هما: الارتفاع الكبير في أعداد المحالين إلى التقاعد المبكر، وضعف الاشتراكات التأمينية.

ورغم أن هذين السببين يُردَّدان في كل مناسبة رسمية تقريبًا، إلا أن تقارير لجان التحقيق النيابية، إلى جانب ملاحظات ديوان الرقابة المالية والإدارية، وتصريحات خبراء ومختصين، رسمت صورة أوسع وأعمق لأسباب التدهور، ومن أبرزها:

1. أن الحكومة كانت المحرّك الرئيس لظاهرة التقاعد المبكر، لاسيما من خلال برامج تقليص القطاع العام، سواء عبر الخصخصة كما حدث في أوائل الألفية، أو عبر برامج مثل "التقاعد الاختياري".
2. مسؤولية الحكومة عن قرار خفض نسبة الاشتراكات، واستبعاد العمالة الوافدة من مظلة التأمينات الاجتماعية.
3. سوء إدارة استثمارات الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي.
4. الهدر المالي وعمليات التنفيع، مثل مكافآت وشراء سنوات خدمة لكبار المسؤولين.

ورغم كل تلك المؤشرات، جرى تمرير تعديلات تشريعية على قوانين التقاعد ارتكزت على تقليص الحقوق المكتسبة للمتقاعدين مثل: إلغاء الزيادة السنوية، رفع سن التقاعد للمرأة، وزيادة نسبة الاشتراكات، متجاهلين التحذيرات التي رُفعت مرارًا من داخل وخارج البرلمان، بضرورة التوجه إلى إصلاح شامل وعادل لأنظمة التقاعد، يحفظ التوازن المالي للصناديق من جهة، ويصون حقوق

فلاح هاشم

المشتركين والمتقاعدين من جهة أخرى.

فهل هناك أمل فعلي في الإصلاح؟

البيانات المالية المنشورة على الموقع الرسمي للهيئة العامة للتأمين الاجتماعي، لا تعكس أي مؤشرات إيجابية حتى اللحظة، بل تؤكد استمرار التدهور، إذ تُظهر الأرقام أن أصول الهيئة تناقصت خلال السنوات الثلاث الأخيرة بنسبة تزيد على 27٪، وهو ما توضحه الرسوم البيانية الرسمية.(انظر: الرسم البياني رقم 1).

حقائق إحصائية من ٢٠١٧ إلى ٢٠٢٤

• بلغت نسبة نمو أعداد المتقاعدين في القطاع العام حوالي 7.35٪ سنويًا، وفي القطاع الخاص 7.75٪ سنويًا، بينما كان معدل نمو التوظيف في القطاع الخاص 2٪ فقط، وفي القطاع العام سلبيًا (–0.835٪) سنويًا.

• سجلت سنة 2019 أعلى نسبة نمو في أعداد المتقاعدين في القطاع العام، حيث بلغت 35٪، نتيجة برنامج التقاعد الاختياري.

• تتركز غالبية المشتركين، خصوصًا في القطاع الخاص، ضمن فئة الأجور المنخفضة (أقل من 400 دينار) بنسبة تتجاوز 35٪، بينما لا تتعدى هذه النسبة 5٪ في القطاع العام، بمعدل إجمالي لكلا القطاعين يبلغ 25٪.

وتشير هذه المؤشرات إلى أن انخفاض عدد الداخلين الجدد لسوق العمل مقابل

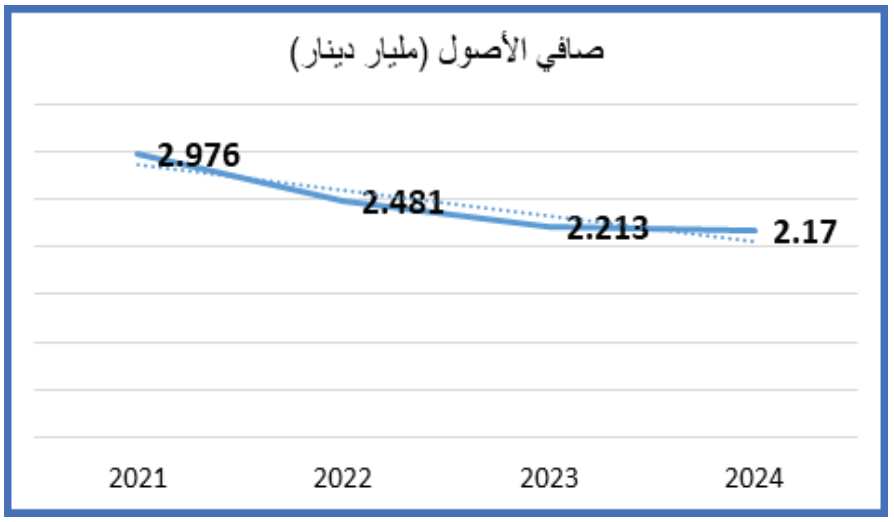

رسم بياني رقم ١

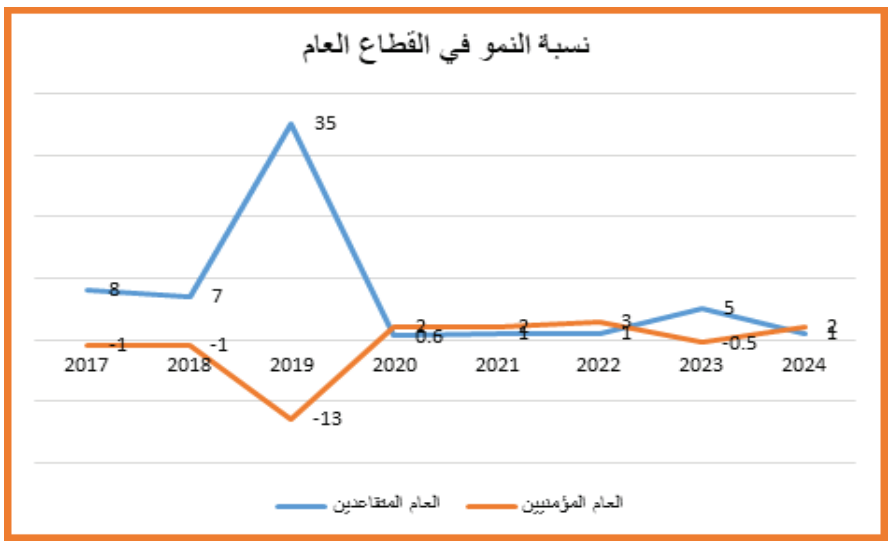

رسم بياني رقم ٢

الارتفاع المستمر في عدد المتقاعدين، إلى جانب انخفاض الأجور، سيؤدي حتمًا إلى نتائج كارثية على استدامة الصناديق. وهذه ليست معطيات معزولة، بل انعكاس مباشر للسياسات الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك آليات إدارة "سوق العمل".

نمط مستمر من الخصخصة والتقليص

ما زالت سياسة تقليص القطاع العام عبر الخصخصة مستمرة حتى اليوم، دون مراجعة جذرية، وهو ما يظهر بوضوح في الأرقام المتعلقة بالنمو في أعداد المتقاعدين:

• بين عامي 2020 و2022، حافظت نسب النمو في أعداد المتقاعدين في القطاع العام على حدود 1٪.

• لكن في عام 2023، قفزت النسبة إلى 5٪.

أما في المقابل، فقد شهد نمو التوظيف تراجعًا حادًا؛ فبين عامي 2020 و2022 تراوح بين 2٪ و3٪، لكنه انخفض إلى -0.5٪ في عام 2023، مما يؤكد استمرار تقليص حجم القطاع العام.

(انظر: الرسم البياني رقم 2).

سياسات تشغيل تؤثر على التوازنات المالية

إن السياسات الحالية التي تشرّع استقدام العمالة الوافدة بأجور منخفضة، وتقابلها تشريعات تميل لغير صالح العمالة الوطنية، تؤثر بشكل مباشر على قدرة الهيئة في جمع الاشتراكات والإيرادات التي تُعتبر العمود الفقري لاستمرارية أنظمتها المالية.

كما أن لذلك تأثيرًا خطيرًا على قدرة المواطن البحريني في الوصول إلى حياة كريمة، وتحقيق الأمان التقاعدي بعد انتهاء سنوات الخدمة.

ماذا بعد؟

إن أول خطوة جادة نحو إصلاح نظام التقاعد تبدأ بـ تشخيص واقعي ومسؤول للأسباب الحقيقية التي تمّ ذكرها أعلاه، يتبعها إصلاح لسياسة الاستثمار، ووقف نزيف الهدر المالي في أموال الهيئة.

أما الاستمرار في السياسات الحالية، فلن يؤدي إلا إلى تعميق الأزمة، وهذا ما يذكّرنا بمقولة أينشتاين الشهيرة: "الجنون هو أن تفعل الشيء نفسه مرارًا وتكرارًا وتتوقع نتائج مختلفة."

الطبقة العاملة سند المجتمع

قاسم الحلال

يقتحم الفقر نفوسنا عنوة، يسنّ حرابه ليخترق صفوفنا، يتربع بيننا لينهش أجسادنا الضعيفة المنهكة، هذا ما نعانيه نتاج تفككنا وترك الحبل على الغارب، من الضروري النضال في سبيل وضع حد لاستمرار هذا التحدي الذي يعصف بنا منتهزاً تهاوننا وسلبياتنا، إن اتساع عملنا وتزايد الروابط بين مختلف الفئات ستضاعف وتائر الوعي الاجتماعي بالتدرج طبعاً، بما يعمق التفاؤل بين افراد المجتمع خاصة الطبقة العاملة، وكل هذا يعد صراعاً طبقياً رغم اختلاف وتباين المفاهيم الاجتماعية.

إن هذه المنهجية اكتسبناها من المواظبة الدؤوبة على القراءة وتفهمنا لمن لهم باع في هذا المضمار، إن الصراع الطبقي هو المحرك الأساسي للتاريخ وهو الصراع الذي يعطي حتماً ثماراً تقدمية. أحياناً الرجعية تتخذ نفس الأسلوب طبعاً لصالحها، وذلك حينما تشعر بالعجز في إدارة منهجيتها بصورة صحيحة، فإما أن تكابر ويفوتها القطار أو أن تنتهج خطاً سليماً (الديمقراطية) وفي كلتا الحالتين سيكون المسار حليف الطبقة العاملة.

يجب أن نفهم أنّ الصراع في أي زاوية من زوايا العالم هو صراع بين الفقراء ومستغليهم وأي محاولة في العالم لوضع قدم للبرجوازية والرجعية يعتبر وضع قدم لنهب ثروات هذه الطبقة، فلا يوجد مفهوم آخر لهذا النوع من الصراع إلا الصراع الطبقي. إن موقفنا إلى جانب توعية من يجهلون أسس وكيفية العمل النضالي في سبيل رفع ثقافة الكادر العمالي هي مهمة ضرورية وواجبة، لكن الانتهازيين يسعون إلى تشويه هذه الأسس، بتجريدها من جوهرها النضالي. نحن نعتمد في نضالنا هذا على الديمقراطية كأساس للتخاطب السلمي بعيداً عن الاثنيات والانفعالات والتشنجات.

كل تفاصيل حديثنا هذا في إطار صراعنا الطبقي اجتماعياً، حيث هناك لابد أن نتطرق لأمور مهمة ألا وهي الصراع الرئيسي بين الرأسمالية والعمال، حيث التناقض الذي ينشب بين كل الطبقات، بين بعضها البعض داخل المجتمع، فالطبقة هي جماعة من الناس لها موقعها وعلاقاتها بوسائل الإنتاج ولها دور في تنظيم العمل وأساليبها في الحصول على الدخل كما ولها دور في التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية، وبسبب تناقض المصالح بين الطبقات مع والتباين في الانتساب بين طبقة وأخرى تتحدد مصالح الفرد ونمط حياته وأفكاره فيما بعد، حيث النضال السياسي الذي هو شكل رئيسي للصراع الطبقي، وبالطبع نحن نعتمد على الديمقراطية لكونها الأسلوب الأمثل في صراعنا مع البرجوازية والرجعية التي لا تمتثل إليها هذه القوى إيماناً بالديمقراطية بل لأنها السبيل للخروج من انسداد وسائل الدفاع عن ذاتها، ففي حال رأت مخرجاً غير الديمقراطية كمتنفس لها تبصق على كل المواثيق وتتنصل من كل مبادئ الديمقراطية، وذلك لكي تضمن السيادة المطلقة معتقدة أنها تستطيع تهديد الطبقة العاملة والديمقراطية، أي الأغلبية وهذا بالطبع مستحيل.

تمتلك الطبقة العاملة حصانة من كل هذه الأوهام العدائية، حيث التنظيم القوي المبني على أسس إستراتيجية مبرمجة تحدد أبعاد مراحل مسارها السياسي للأهداف المرحلية الصحيحة المبنية على الوضوح الفكري لجماهير الطبقة العاملة محددة بذلك موقعها بين مختلف الطبقات الاجتماعية، ونعني بالإستراتيجية أهمية جذب الجماهير الواسعة نحو كسب الأغلبية إلى جانبها بقصد الحشد الجماهيري الذي يتخطى حدود الطبقة العاملة وحدها لكي نخلق إنجازات توسع فينا القدرات على تغيير واقعنا المأزوم.

من هنا يتحتم على الطبقة العاملة أن تحافظ على دورها الريادي وتحالفها العريض، وعليها أن تخوض نضالاً ايديولوجياً بلا هوادة ليس ضد الرجعية، بل وحتى ضد اليسار المتطرف وأن تعمل بعزيمة وحزم وتتحمل المفاجآت، بالثبات بعد كل خطوة مكاسب للاستعداد لخطوة أخرى والتشخيص الصائب وقت العثرات والإخفاق، وأن تكون مستعدة لتقييم الوضع بين حين وآخر واختيار اللحظة المناسبة للحسم، أي اللحظة التي يتهيأ فيها الظرف الموضوعي والذاتي، فإذا لم يتوفر لها هذان الظرفان لن تستطيع حسم الأمور لمصلحتها، وهذا راجع لعدم تهيؤ النضوج الفكري عند الكثير من القوى الوطنية، حيث أنها السند المهم للطبقة العاملة، كونها من يعاني ضنك الحياة أكثر من سواها من الطبقات التي يهمها أيضاً النضال من أجل حياة أفضل.

غـزّة تمــوت جــوعــاً ..
لمــاذا يسمــح العــالــم بحــدوث ذلك؟

نشرت صحيفة الغارديان شهادة للجرّاح المتطوّع في مستشفى ناصر جنوب غزة نيك ماينارد، الذي تحدث عن «التجويع المتعمّد» في القطاع، في مقال بعنوان «أشهد تجويعاً متعمداً لأطفال غزة، لماذا يسمح العالم بحدوث ذلك؟».

ويصوّر الطبيب حجم المأساة الإنسانية من داخل المستشفى: «مراهقون يعانون سوء التغذية، ورُضّع أصبحوا جلداً وعظماً، وجراحات تفشل ليس بسبب حدة الإصابة بل لأن المصاب يعاني من سوء تغذية شديد يمنعه من النجاة من العمليات». ويشير الطبيب إلى وفاة أطفال رُضّع خلال الأسابيع الماضية بالمستشفى الذي يعمل فيه، بسبب الجوع، معتبراً أنّ «التجويع يستخدم كسلاح ضد شعب بأكمله بشكل متعمّد» في غزة.

ويقول الطبيب: «لا يوجد ما يكفي من الطعام في غزة. ولا نملك حليب أطفال تقريباً، وغالباً ما تعاني أمهاتهم من سوء التغذية الشديد الذي يمنعهن من الرضاعة الطبيعية. وعندما حاول زميل دولي إدخال حليب أطفال إلى غزة، صادرته السلطات الإسرائيلية».

ويُلخص الطبيب سياسة التجويع بنقطتين؛ تتمثلان بـ»منع دخول الغذاء إلى غزة، وترك المدنيين اليائسين بلا خيار سوى زيارة نقاط التوزيع العسكرية للحصول على بعض الإمدادات المحدودة»، ويوضح أن السلطات الإسرائيلية قلّصت مراكز توزيع المساعدات الإنسانية من 400 موقع في مايو/أيّار إلى 4 مناطق عسكرية، والتي يصفها بـ»الفخ المميت لمن يسعى للحصول على قوت يومه».

وينقل ملاحظة أطباء في قسم الطوارئ «عن نمط مُقلق للإصابات، حيث تتركّز في أجزاء مُحددة من الجسم كالرأس، والساقين، والأعضاء التناسلية، ما يُشير إلى استهداف مُتعمّد لتلك الأجزاء».

على الصعيد نفسه حذّرت أكثر من مئة منظمة غير حكومية من خطر تفشّي «مجاعة جماعية» في غزة، وقالت المنظمات غير الحكومية ومن بينها «أطباء بلا حدود»، و»منظمة العفو الدولية»، و"أوكسفام إنترناشونال" وفروع عديدة من منظمتي "أطباء العالم" و"كاريتاس" إنّه "مع انتشار مجاعة جماعية في قطاع غزة، يعاني زملاؤنا والأشخاص الذين نساعدهم من الهزال».

ودعت المنظمات الحكومات إلى المطالبة برفع جميع القيود البيروقراطية والإدارية، وفتح جميع المعابر البرية، وضمان وصول الجميع إلى كل أنحاء غزة، ورفض التوزيع الذي يتحكم به الجيش الإسرائيلي واستعادة "استجابة إنسانية مبدئية بقيادة الأمم المتحدة».

وقالت المنظمات الإنسانية في بيانها إنّه "خارج قطاع غزة مباشرة، في المستودعات – وحتى داخله – لا تزال أطنان من الغذاء ومياه الشرب والإمدادات الطبية ومواد الإيواء والوقود غير مستخدمة، في ظلّ عدم السماح للمنظمات الإنسانية بالوصول إليها أو تسليمها».

"المجاعة تقرع كل الأبواب»

ويأتي هذا البيان غداة اتّهام المفوضية العليا للأمم المتحدة لحقوق الإنسان الجيش الإسرائيلي بقتل أكثر من ألف شخص عند نقاط توزيع المساعدات في غزة منذ نهاية أيار/ مايو، غالبيتهم كانوا قرب مواقع تابعة لـ"مؤسسة غزة الإنسانية"، وهي منظمة تدعمها الولايات المتحدة وإسرائيل.

وفي سياق متصل، اعتبر الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش أن الأهوال التي يشهدها قطاع غزة على صعيد أعداد القتلى والدمار الواسع النطاق، "لا مثيل لها في التاريخ الحديث". وقال غوتيريتش خلال اجتماع لمجلس الأمن الدولي «تكفي مشاهدة الرعب الذي يدور في غزة، مع مستوى من الموت والدمار لا مثيل له في التاريخ الحديث. سوء التغذية يتفاقم، والمجاعة تقرع كل الأبواب».

وأعلن مجمّع الشفاء الطبّي أنّ 21 طفلا توفّوا في غزة خلال الساعات الـ72 الماضية "بسبب سوء التغذية والمجاعة"، مع بلوغ الكارثة الإنسانية التي يعانيها سكان القطاع مستويات غير مسبوقة وتحذير الأمم المتحدة من أن "المجاعة تقرع كل الأبواب».

وفي مستشفى ناصر (جنوب)، أظهرت صور لوكالة فرانس برس والدين يبكيان فوق جثة ابنهما عبد الجواد الغلبان البالغ 14 عاما والذي توفي جوعا وقد لفت جثته العظمية في كيس جثث أبيض.

حملة عالمية.. ضمير لا يُقهر

في العشرين من يوليو 2025، انطلقت في مختلف عواصم ومدن العالم حملة عالمية غير مسبوقة تحت شعار «ارفعوا الحصار.. أوقفوا التجويع»، للتنديد بسياسة التجويع الممنهج التي يتعرض لها أكثر من مليوني إنسان في قطاع غزة، وسط صمت دولي مطبق وإخفاق أممي متكرر في حماية أبسط حقوقهم في الحياة والكرامة والغذاء.

انطلقت التظاهرات والوقفات الاحتجاجية في أكثر من 40 مدينة حول العالم، من بينها باريس، لندن، إسطنبول، برلين، كيب تاون، كراتشي، كوالالمبور، بيروت، عمّان، والرباط، إضافة إلى عدة عواصم أمريكية ولاتينية.

ورفع المشاركون لافتات كتب عليها: التجويع جريمة حرب»، افتحوا الممرات الإنسانية إلى غزة»، "الكرامة لا تُحاصر»، وتمت تلاوة بيانات تضامنية بلغات متعددة، مطالبة المجتمع الدولي بالتدخل العاجل لوقف الانهيار الإنساني الحاصل، كما أطلقت عرائض إلكترونية وبيانات تضامن من قبل شخصيات ثقافية وفنية وأكاديمية بارزة، بينهم كتاب حاصلون على نوبل، وفنانون عالميون، وناشطون حقوقيون، مطالبين بتحقيق فوري في جرائم التجويع، ورفع الحصار، وفتح الممرات الإنسانية.

صوت الضحايا أقوى

الحملة لم تكن فقط تعبيراً عن الغضب الدولي، بل أيضاً وسيلة لإيصال أصوات المحاصرين أنفسهم. عبر مقاطع الفيديو والرسائل المكتوبة، خاطب أهالي غزة العالم بلغات متعددة، قائلين: «لا نطلب المستحيل، نطلب فقط حقنا في الحياة»، و»نحن لا نموت بالقنابل فقط، بل نموت كل يوم من الجوع والعطش والخوف».

فهل تُجبر هذه الحملة صانعي القرار على التحرك؟ وهل يمكن تحويل الغضب العالمي إلى ضغط سياسي وحقوقي فعّال يُنهي التجويع كسلاح؟.

بعد ٤١ عاماً قضاها في السجون الفرنسية

المناضل الأممي جـورج عبـدالله يعود إلى وطنه وسط استقبال شعبي حاشد

بعد 41 عاماً من الاعتـقال، وبعد القرارات القضائية بإخلاء السبيل التي جرى تعطيلها بقرارات سياسية بفعل ضغوط أميـركية وإسرائيلية، اتخذت محكمة التمييز في فرنسا قراراً حاسماً بإطلاق سراح المـناضل جـورج إبراهـيم عبـدالله وترحيله إلى وطنه لبنان، الذي عاد إليه بالفعل في الخامس والعشرين من يوليو الماضي وسط استقبال شعبي حاشد شارك فيه قادة وأعضاء الحزب الشيوعي اللبناني والقوى الوطنية والتقدمية الأخرى، وفي الكلمة التي ألقاها أمام مستقبليه قال جورج عبدالله إن شرط الحرية هو التمسك بغزّة وأبطالها ودعوة الجماهير العربية إلى النزول للشارع تضامناً مع غزّة وأهلها.

وقال الحزب الشيوعي اللبناني إن جورج عبدالله المناضل الماركسي، اللبناني والعربي والأممي، "انخرط في صفوف المقـاومة دفاعاً عن لبنان وأرضه وشعبه، ونصرةً لفلسطين وقضيتها وتحـريرها، منذ مطلع شبابه إلى جانب المناضلين في صفوف العمل الوطني واليساري المقـاوم، وقضى الجزء الأكبر من حياته وراء القضبان رافضاً تقديم أي تنازل مبدئي فكري أو سياسي أو الاعتذار عن إرثه المقاوم، ودفع أي تعويضات لأية جهة كانت، حتى ولو كلّفه ذلك قضاء كل سنين عمره في السجن".

وأضاف البيان: "يخرج جورج عبدالله اليوم رمزاً لفلسطين وللمقـاومة الوطنية، في ظلّ تعرض الشعب الفلسـطيني لحرب إبـادة جماعية من الأقسى والأكثر إجـراماً التي عرفها عالمنا في تاريخه الحديث، على يد الكـيان الصهـيوني والمشاركة الأميركية الكاملة والتواطؤ الرسمي الأوروبي والعربي".

بيــروت تنتظــرك يا جــورج!

كاترين ضاهر *

فتح باب زنزانة شهدت صمود مناضل أربعة عقود... ويُترجَم تحريرهُ اليوم عزيمتَه وصلابةً موقفه المبدئي، هو الذي قال: «لم أندم.. لم أساوم وسأبقى أقاوم»، ونحن مثلك يا رفيق جورج "لم نندم" لنضالاتنا مع قضيتك وقضية فلسطين وتحرير الأسرى... لم نساوم" لا مع محتل ولا نظام ولا مستعمر. سنبقى نقاوم معًا ومع كل أحرارَ العالم وَكل الوطنيينَ لتحرير فلسطين وشعبها، لتحرير غزة وفك حصارها، لتحرير كل الشعوب وتحرير بلادنا من الاحتلال ومن النظام السياسي الطائفي والفساد والمحسوبية والطائفية والمذهبية.

كنت بعد كل اتصال تجتاحني مشاعرُ متناقضة، أنظر إلى اسمك على الهاتف فأسرع لأكسب وقتك الثمين، وأتردد بالرد ثم أفتح الخط ببطء... ويتسارع في عقلي سيلٌ من التساؤلات: ماذا سأخبرك لأطمئنك؟ هل أتصنع الصمود وهو واقعٌ نناضل دومًا لتحقيقه... هل ينفع إخفائي لبعض الأحداث السيئة؟ وفي داخلي أشعر أنك لا تجهل أيّ شاردة وواردة تحدث في العالم، ولاسيما في فلسطين ولبنانَ وكلَ أحداث ومتغيرات الشرق الأوسط. قد أطرح سؤالي الأول مصحوبًا باعتذار "جورج هل صدقتني عند اتصالك كل مرة بتأكيدي «كيفك أنت... نحن صامدون.. المهم أنت" واتحايل عن اجابتك وإصراراك لمعرفة معنواياتنا، أصمت وباللاوعي يأتي الرد مبرمجًا "مناح نحن والمهم معنوياتك... أنت يا رفيقي اللي بتعطينا كل المعنويات»

هل كنت تقصد أن تمنحنا من زنزانتك القوةَ في كل اتصال فتدفعنا إلى مواصلة النضال؟ لأن قدرنا المواجهةُ والنصر، أما اليأسُ والهزيمة فهما مصيرُ خصمنا وعدوّنا: المحتل والإمبريالية والرجعية.

أذكر أول ردّ على اتصالك الأول وسؤالك بعد التحية: "العوافي يا صبية، عرفتيني؟"، فكانت أطولَ ثوانٍ أمامي، كأنها اختبارُ قرن... فترددتُ لبرهة خوفًا من أن يكون أحد السجانين... وَلكن اسمك كان أولَ كلمة نطقتُ بها: ""جووورج. الرفيق جورج! أكيد عرفتك!"". وكنت انتظر اتصالك كما بلغت بعد أيام....

مبروك الحريةُ والنصرُ رفيقَ جورج!، ومبروك لكل من سيلقاك ليعرف عن قُرب كيف منحتَنا تلك الثقةَ بتواصلك معنا وحرصك علىً دعمنا وتحفيزنا لمواصلة النضال والتمسك بقضيتنا الأسمى: فلسطين.

مبروك لفلسطين ولبنان... النصرُ لغزة وجنوب لبنان. والحريةُ لكل الأسرى في سجون الاحتلال ومعتقلي الرأي.. والحريةُ والتحررُ لكل الشعوب.

رفيقتك كاترين ضاهر
25 تموز 2025
التاريخ الأغلى

* ناشطة في الحزب الشيوعي اللبناني

بصراحة

حملات التضامن العربي والأممي مع غزّة الجريحة

هل نحن في القرن الواحد والعشرين؟، بالتأكيد الجواب نعم، ولكن لماذا لا تُحترم القوانين والتشريعات الدولية، والقرارات الصادرة من هيئة الأمم المتحدة، لماذا يُسمح لحفنة من المجرمين والقتلة الصهاينة بقتل وإبادة الشعب الفلسطيني في غزة؟. هؤلاء القتلة ليسوا من البشر الأسوياء، فهم مجردون من الأخلاق والإنسانية، إنهم وحوش مفترسة تنهش في أجساد الأطفال والنساء والشيوخ في كل يوم ، يقتلون ويحرقون ويجوّعون الأبرياء، والمفارقة بأن الذين يدّعون بأنهم يدافعون عن مبادئ الديمقراطية والحريات العامة واحترام حقوق الإنسان ويسقطون الأنظمة السياسية التي لا تروق لهم هم من يدعم الكيان الصهيوني عسكرياً واقتصادياً، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية الشريك الرئيسي في الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني في غزة، لتستمر في حرب الإبادة الجماعية، وهي التي تمنع مجلس الأمن الدولي من إصدار قرار دولي يلزم الكيان الصهيوني بوقف الحرب في غزة .

فاضل الحليبي

في الثاني عشر من يونيو 2025 الماضي، صوَّتت الجمعية العامة للأمم المتحدة ب 149 صوتاً على مشروع قرار بوقف النار دون شروط، بالرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول صوتت ضد القرار وهناك من الدول من امتنع عن التصويت، ولكن السؤال هل سوف يُنفَّذ القرار؟، بالتأكيد لا، الكيان الصهيوني يعتمد على "الفتيو" الأمريكي الذي يستخدم لمصلحة الكيان الصهيوني، وكأنّنا به يقول: واصل حرب الإبادة الجماعية على الشعب الفلسطيني.

أليس هذا هو الكيل بمكيالين، فالإمبريالية الأمريكية والاتحاد الأوروبي الواقفون مع أوكرانيا منذ بدء الحرب هناك، مقدّمين لها كل الدعم والمساعدات، مع أن روسيا لم تفعل بالمدنيين الأوكرانيين ما تفعله قوات الاحتلال الصهيوني بالشعب الفلسطيني من حرب إبادة جماعية قلَّ نظيرها في التاريخ المعاصر.

جرمٌ عالميٌّ متواطئٌ على الشعب الفلسطيني، ولازال قادة الكيان الصهيوني يرفضون إدخال المساعدات الغذائية والطبية لغزة، ولم يبقَ مكان آمن في القطاع، فكل شيء مدمر، مستشفيات خارج الخدمة، فيما النظام الرسمي العربي لازال يلزم الصمت ويمنع قوافل التضامن مع الشعب الفلسطيني من الوصول إلى معبر رفح المغلق لتقديم المساعدات الغذائية والطبية، فقط يصدر بيانات «الشجب والإدانة»، ودول العالم وبالأخص الداعمون للكيان الصهيوني في بداية عدوانه على غزة بعد السابع من أكتوبر عام 2023، وتحت الضغط الجماهيري لشعوبها ولقوى وحركات التضامن مع الشعب الفلسطيني بدأت تغيّر مواقفها وفي مقدمتها فرنسا وبريطانيا وألمانيا، رغم أن المطلوب من هذه الدول اتِّخاذ مواقف أكثر صرامة وحزم لوقف الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني في غزة.

وبالمقابل تزداد حملات التضامن الأممي مع الشعب الفلسطيني في غزة، وحين اقتربت "سفينة الحرية" مادلين التابعة لـ"تحالف أسطول الحرية"، في فجر يوم الاثنين التاسع من يونيو الماضي، من الأراضي الفلسطينية المحتلة تمَّ اعتقال النشطاء من قبل قوات الكامندوز الصهيونية، وأخذوا إلى مطار تل أبيب لتسفيرهم إلى بلدانهم، وبالرغم من هذا الفعل الإجرامي، وبتاريخ 13 يوليو 2025 بدأت رحلة السفينة "حنظلة" وهي الثانية بالتوجه إلى فلسطين المحتلة، وبالتأكيد لن يسمح لها الكيان الصهيوني بالوصول إلى شواطئ غزة الجريحة، ولكن لهذا التحرك أبعاد معنوية وإعلامية لتتعرف شعوب العالم على معاناة الفلسطينيين في غزة، ومساهمة في مساعي كسر الحصار المفروض على غزة منذ عام 2007 .

والمؤسف بأن النظام العربي الرسمي عوضاً عن تقديم الدعم والمساندة للشعب الفلسطيني لوقف إطلاق النار وحرب الإبادة الجماعية عليه، يساهم في معاناة الفلسطينيين من خلال منع النشطاء العرب والأجانب في حملات التضامن العربي والأممي من أن تصل إلى معبر رفح المغلق، عوضاً عن تقديم المساعدات لهم لمواصلة المسيرة التضامنية لكسر الحصار ووقف إطلاق النار وحرب الإبادة الجماعية. إنه بحقٍ الزمن العربي الرديء!

أهداف تحالف أسطول الحرية

حدد التحالف أهدافه في»كسر الحصار الإسرائيلي غير القانوني وغير الإنساني، الذي دام لأكثر من 17 عاماً على قطاع غزة، والذي لم يتسبب فقط في أزمة إنسانية مستمرة، بل حرم الفلسطينيين في القطاع من حقهم في الصحة والأمان وحرية الحركة، بالإضافة إلى حقوق الإنسان الأساسية الأخرى.

كما يهدف إلى "تثقيف الشعوب حول العالم عن حصار غزة، والظروف غير الصالحة للعيش التي يفرضها الحصار، وحقيقة أن هذه المعاناة البشرية الهائلة ليست كارثة طبيعية، بل نتيجة لخيارات سياسية وعسكرية."

تشير ناشطة يسارية في الكيان الصهيوني إلى وجود سخرية تصدر من معظم وسائل الإعلام الإسرائيلية، وعلى الشبكات الاجتماعية تجاه المشاركين في الحملة، تُشبّه اتهام كل نقد لإسرائيل بأنه معادٍ للسامية، وتصفها بأنها «محاولة (لن تنجح) لإلغاء أي نقد وتعزيز شعور "نحن على حق" الإسرائيلي."، وتقول: إن المظاهرات والأنشطة التي يقوم بها ناشطون أجانب لا تؤثر على الرأي العام في إسرائيل، "بل تُستغل من قبل النظام لتعزيز العنصرية وكراهية الأجانب في المجتمع الإسرائيلي". وترى أن الطريقة الوحيدة لوقف "حمام الدم في غزة" هي ضغط دولي فعلي، و"فرض عقوبات على إسرائيل" تكون الحكومات، لا المجتمع المدني فقط، منخرطة بذلك.

خطـــر ســـلامٍ أســـوأ مـــن الحـــرب

مفارقات مذهلة من مفارقات هذا الزمن البائس الذى يشهده واقعنا العربي، واقع فيه من يهندس له الفوضى كي يظل~ برميل بارود مشتعل تحوم حوله وتحركه أيادٍ كثيرة بأعواد الثقاب. وجه الخطورة فى هذه المفارقات أنها تكاد تضعنا، ام هى وضعتنا بالفعل، فى حلقة من الخيبات، أهمها على الإطلاق اختبار الانسانية والضمائر الحية، حتى معنى الانسانية تمّ التلاعب به. ألم يعلن المحتل الإسرائيلي عن "المدينة الإنسانية" فى غزّة التى اكتشف العالم أنها لم تكن سوى مجرد فخ قاتل حين تحولت مراكز توزيع الغذاء فى هذه المدينة التى استظلت بالإنسانية إلى مصائد لقتل المئات من حشود الجوعى الباحثين عن المساعدات الغذائية، وبلغت المأساوية حدّ أن عمال الإغاثة أنفسهم مستهم سياسة الجوع والتجويع واضطرّوا للوقوف فى طوابير الطعام ..!.

خليل يوسف

لقد وصل الوضع فى غزة إلى المجاعة الشاملة فى مشاهد يومية تزلزل كيان كلّ صاحب عقل وضمير فى العالم، ولعلها لحظة صراحة نادرة حين وصف الملك البلجيكى فليب خلال خطاب العرش عشية العيد الوطنى لبلاده ما يجرى فى غزة بأنه "عار على الإنسانية"، ثم جاء أمين عام الأمم المتحدة خلال اجتماع لمجلس الأمن ليعلن "أن الأهوال التى تعيشها غزة لا مثيل لها فى التاريخ الحديث وتضرب الانسانية فى الصميم"، ولكن جامعتنا العربية التى أدمنت الدوران فى محيط الشجب والإدانة والاستنكار، ولا تخرج اجتماعاتها على كل المستويات عن تكرار المكرر، وكل الحراك الشكلي الذى قام هذا الكيان العربي مخيب للآمال، وفاقم حالة اليأس.

لنتجاوز الجامعة العربية لأنها لا تحتمل حساباً ..!، وأحسب أن ما قاله محمود درويش ينطبق عليها: "نريد تطلعاً إلى الأمام، لا حشداً للمخلفات"، وهو القائل أيضاً: "لا أريد أن أرى اكثر مما رأيت من خيبات الأمل، ولعل ذلك هو آخر ما تبقى لى من أمل، ان أحصّن نفسي ضد الخيبة"، هذه الخيبة نراها اليوم بسبب هذا الكم غير المسبوق من البشاعة والتوحش، والأدهى أن نجد من يحملون راية العدالة والحرية وحقوق الانسان وهم يسقطونها سقوطاً مدوياً حين ظهروا إما متواطئين أوداعمون، أليست مفارقة مذهلة حين نبدو كمن يطلب الدواء من اهل الداء؟.

لعبة المفارقات لاتنتهى ومن يمتلكون القدرة على الرصد والمتابعة قادرون على اكتشاف درجات جديدة من هذه المفارقات وما تحمله من معانٍ، فما يجرى فى أرض ليس مثلها أرضاً، ارض صار الموت فيها أبقىً من الحياة، أرض غزة التى يريدون جعلها ارض مقابر، ولكنهم يزعمون أنها ستكون أهم منتجع سياحي فى الشرق الأوسط، غير مكترثين بتجاوز كل الخطوط الحمراء، وهم يمارسون إبادة إنسانية وأهوال تنقل بالبث المباشر، وهو أمر وصفه أمين عام الأمم المتحدة بأن لا مثيل له فى التاريخ ..!! ثم أليست مفارقة حين نتناسى أو نتجاهل الظلم حين يتسيد الصمت على كل الجرائم المكتملة الأركان التى يشهدها العالم، أيكون هذا الصمت والتهاون حياداً أم أنه وقوف إلى جانب الظالم، الصمت او الحيادية كما قال احدهم تعنى إنساناً بلا قلب، بلا روح، بلا عاطفة، بلا مشاعر إنسانية تجاه أشد الحروب فى العالم شراسة، حربٍ لم يعد القصف وحده وجه الموت فيها، بل بات الجوع سيفاً مصلتاً على رقاب اكثر من مليوني إنسان، يحاصرهم الخوف والموت والجوع، وحياة تتراجع أمام أمعاء خاوية، وأجساد تنحل حتى تنطفئ بصمت آخر شرايين الحياة التى تبقي من تبقى على قيد الحياة تنهار، ليكون العالم أمام وجه جديد للنكبة الفلسطينية.

وأمام حسابات أمريكية هل يمكن صرف النظر عن تبرير انسحاب امريكا من منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو" بذريعة أن هذه المنظمة متطرفة، وان اهم مظاهر تطرفها انها منحازة ضد إسرائيل، وتروج لقضايا مثيرة للانقسامات وتعادى السامية!. مهم جداً التوقف امام ما نشر على لسان "آنا كيلي" المتحدث الرسمي باسم البيت الأبيض وهى تشرح دوافع ذلك القرار التى تمثلت فى التالى: تصنيف الأماكن المقدسة اليهودية على أنها مواقع تراث عالمى فلسطينية، تكرار استخدام اليونسكو لعبارات تشير إلى أن "فلسطين محتلة" من جانب إسرائيل، إدانة اليونسكو الحرب الحالية فى غزة!، واذا ما أضيف إلى ذلك مسارعة الكنيست الإسرائيلي للمصادقة على قرار تهويد الضفة الغربية وغور الأردن وضمّها، فى قرار وصف من قبل بعض أعضاء الكنيست وبعض السياسيين الصهاينة بأنه تاريخي يدعم كما قال رئيس الكنيست "وطننا يهودا والسامرة"، أي الضفة الغربية باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الوطن التاريخى للشعب اليهودى.

وبصرف النظر عن ردود الفعل العربية وغير العربية الرافضة لذلك القرار إلا ان ذلك يضع المنطقة العربية خاصة فى ظل السياسات الأمريكية أمام تحديات استثنائية تدخل فى عالم اللامعقول كنا نحسبها من المستحيلات، وربما فى هذا السياق نجد من يريد ان يعطى زخماً لمشروع الشرق الأوسط الجديد، وهناك من قال إن هذا المشروع لم يعد وهماً، او رجماً بالغيب، او مجرد احتمالات، بل أضحي مشروعاً على الأبواب، وهذه خطوة تضرب و بلا تردد ولا هوادة حديداً حامياً مستثمراً الوهن العربي الذى لا نملك حياله إلا أن نقول "وينك يا عنتر"!.

لم يعد ينقص المشهد الراهن إلا تلك النوعية من التحذيرات الغريبة التى اطلقتها وسائل إعلام اسرائيلية من تنامى "الكتاتيب" التى تعمل على تحفيظ القرآن الكريم فى مساجد مصر خلال فترة الصيف، والذريعة التى تصل إلى حد الوقاحة من ان تلك "الكتاتيب" تنتج أجيالاً متشددة وكارهة لإسرائيل ..!، والى تلك الانتقادات التى وجهها موقع اخبارى اسرائيلي للأزهر الشريف حين انتقد أئمة أوروبيين زاروا إسرائيل مؤخراً، وانتبهوا جيداً إلى طبيعة وصف تلك المواقع لبيان الأزهر بأنه "متطرف وخطير يقارب خطاب داعش"، وكل تلك الوقائع والمعطيات، إضافة إلى ما وراء الأكمة ومما يدور فى الهمس والتلميح حوله، بات واضحاً أننا اصبحنا نواجه أفقياً وعمودياً ما هو فوق المألوف من بواعث قلق من مفاجآت، وفى رأي المحللين والمراقبين الحياديين فإن العرب اليوم أمام انعطافة غير مسبوقة لا نعلم إذا كانت ستحتل المرتبة الأولى كما يجب ويفترض، ام سيكون علينا – وهذه هى المصيبة الأكبر – قبول ما تفرضه الولايات المتحدة، (الصديقة)، والآمرة الناهية من حسابات تنطلق بأن ما ترتكبه إسرائيل من همجية ووحشية هى مقاومة شرعية تجاه (المحتل) الفلسطيني، وفى كل حال يبدو أننا أمام خطر سلام أسوأ من الحرب.

لعبة المفارقات لاتنتهى ومن يمتلكون القدرة على الرصد والمتابعة قادرون على اكتشاف درجات جديدة من هذه المفارقات وما تحمله من معانٍ

(قف)

عن قمة «البريكس» في البرازيل

في السادس من يوليو ٢٠٢٥، انعقدت قمة مجموعة بريكس الـ١٧ في مدينة ريو دي جانيرو البرازيلية، في وقت تتزايد فيه التقلبات العالمية. وفي خضم التوترات الجيوسياسية المتصاعدة والتجزؤ الاقتصادي، يُنظر بشكل متزايد إلى مجموعة بريكس كمصدر للاستقرار واليقين.
وما يُميّز مجموعة بريكس هو إطارها الشامل والتعاوني المصمم خصيصًا لتلبية احتياجات الاقتصادات الناشئة، وخاصة تلك التي تنتمي إلى الجنوب العالمي وتسعى إلى فرص تنموية أكثر عدالة.

فهد المضحكي

جاء ذلك في تقرير لوكالة الأنباء الصينية "شينخوا". وتماشيًا مع موضوع قمة هذا العام الذي يحمل عنوان "تعزيز التعاون بين دول الجنوب العالمي من أجل حوكمة أكثر شمولًا واستدامة»، عملت المجموعة على تعزيز صوت الدول التي لطالما هُمشت في عملية صنع القرار العالمي. وهذا جعلها قوة داعمة للاستقرار في عالم يزداد انقسامًا.
إن توسع "بريكس" يعدّ قفزة نوعية في مستوى تمثيلها وتأثيرها. ففي يناير هذا العام، انضمّت إندونيسيا، أكبر اقتصاد في الآسيان، رسميًا إلى مجموعة بريكس. واليوم، تمثل أكثر من نصف سكان العالم، وقرابة 30 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، وأكثر من 50 في المائة من النمو الاقتصادي العالمي. وهذا يعني تحولًا تاريخيًا في ثقل الجنوب العالمي من أطراف الساحة الدولية إلى مركزها.
وكما ذكر التقرير، فإن مجموعة بريكس بحلتها الموسعة وجاذبيتها المتزايدة وتمثيلها الأقوى وانتشارها الجغرافي الأوسع، تعمل الآن على إعادة تشكيل المشهدين السياسي والاقتصادي العالميين. كما يؤكد تنوعها المتنامي على التزامها بالشمول ودورها كممثل حقيقي للجنوب العالمي.
لقد سلط تعاون مجموعة بريكس الموسعة الضوء على الأولويات التنموية للاقتصادات الناشئة وشجّع على حوار قائم على قدم المساواة. ويعكس ذلك توافقًا متزايدًا على أنّ الحلول متعددة الأطراف الفعالة لابد أن تشتمل على مجموعة أوسع من الأصوات، لاسيما تلك التي كانت مستبعدة من قبل.
ومن الناحية العملية، قدمت نموذجًا تنمويًا واعدًا وعمليًا للدول النامية من خلال مبادرات تركز على الاستثمار في البنية التحتية، ونقل التكنولوجيا، والتكامل المالي. وبالنسبة للعديد من دول الجنوب العالمي التي تواجه تحديات في البنية التحتية، وانعدام الأمن الغذائي، والهشاشة المناخية، تقدم "بريكس" دعمًا تمس الحاجة إليه في وقت عجزت فيه دول أخرى عن ذلك.
والأهم من ذلك أنها تشكل أيضًا صوتًا جماعيًا ينادي بالعدالة والإنصاف في الحوكمة العالمية، إذ تدعو إلى التقدم المشترك والاحترام المتبادل والمساواة في السيادة، فيما تعارض بشدة تكوين "تكتلات صغيرة" حصرية.
وتلتزم دول بريكس بممارسة التعددية الحقيقية، ودعم النظام الدولي الذي تمثل الأمم المتحدة نواته، فضلًا عن دعم وتعزيز النظام التجاري متعدد الأطراف الذي تمثل منظمة التجارة العالمية مركزه.
وفي إطار منصات مثل الأمم المتحدة ومجموعة العشرين، عززت دول بريكس التواصل السياساتي، ونسقت مواقفها، ودفعت بشكل بناء إصلاح نظام الحوكمة العالمية. وقد ساهم ذلك بشكل كبير في تعزيز صوت الدول النامية، وقدرتها على تحديد جدول أعمالها وتأثيرها في صياغة القواعد الدولية.
ومع وجود بيئة عالمية متزايدة التعقيد، تواصل من خلال تركيزاتها على بناء التوافق وتحقيق التعاون العملي، ضخ المزيد من العدالة والإنصاف واليقن في النظام الاقتصادي والسياسي الدوليين.
في جوهرها، تتطلع المجموعة إلى عالم أكثر إنصافًا، عالم تكون فيه التنمية شاملة للجميع، وتشكل فيه أصوات الغالبية، لا القلة فقط، ملامح المستقبل.
تسعى "بريكس" إلى تعزيز دورها كمحرك رئيس في الاقتصاد العالمي، في ظل دعوات متزايدة لإصلاح النظام المالي العالمي، وتعزيز التعددية القطبية.
وفي هذا السياق، تقول الكاتبة والأكاديمية المتخصصة في الشأن الاقتصادي د. كريمة الحفناوي، في مقال نُشر على موقع«alharir» ، إن أحد القرارات الهامة لتجمع بريكس هو، التعامل بين دول المجموعة بالعملات المحلية، من أجل إزاحة سيطرة الدولار الأمريكي في السوق العالمية، حيث أن المجموعة لديها القدرة على التأثير بشكل كبير، على النظام الاقتصادي والجيوسياسي العالمي، خاصة من خلال تغيير توازن القوى، وخلق المزيد من الفرص للدول النامية، والعمل على الحد من السياسات الرأسمالية الجديدة المعسكرة والمتوحشة التي تعمل على إفقار الدول النامية وزيادة ثروات الدول الكبرى من ناحية أخرى.
لقد أكدت هذه القمة على التعاون بين البنوك المركزية لدول المجموعة مع تمكين التسويات بالعملة المحلية بين الدول الأعضاء.
وردًا على تهديدات ترامب، بفرض عقوبات جمركية إضافية بنسبة 10٪ على أي دولة تصطف مع السياسات المعادية لواشنطن التي تنتهجها دول بريكس، أكد الرئيس الروسي بوتين رفضه لهذه التهديدات، وقال: «إن دول بريكس تتعاون فيما بينها بناءً على مصالحها المشتركة، وإن التعاون بين دول بريكس ليس موجهًا ضد دول أخرى ".
كما أعلنت وزارة الخارجية الصينية، رفضها للتهديدات الأمريكية باستخدام الرسوم الجمركية كأداة ضغط، وأكدت أن الحروب التجارية لا رابح فيها، داعية إلى الحوار كوسيلة لحل الخلافات.
ويجيء اجتماع دول بريكس هذا العام في وقت يعاني فيه العالم، من أزمات اقتصادية حادة، ومن صراعات وحروب، تسببت في الهجرة غير الشرعية، وتهجير السكان من أوطانهم في صورة لاجئين، مما يهدد السلام العالمي. وقال قادة دول بريكس في إعلان مشترك عقب اليوم الأول للقمة "نحث كل الأطراف على الانخراط بحسن نية في مفاوضات، لتحقيق وقف فوري ودائم وغير مشروط في قطاع غزّة، والانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية من القطاع والأرضي الفلسطينية المحتلة».
كما نددت المجموعة بالضربات العسكرية ضد إيران معتبرة أنها انتهاك للقانون الدولي، وأعربت عن قلقها الشديد، إزاء التعريفات الجمركية التي أعلنها الرئيس ترامب، واعتبرتها أنها غير قانونية وتعسفيه، وتُهدد بالحد من التجارة العالمية بشكل إضافي، وتعطيل لسلاسل التوريد، وإدخال حالة من عدم اليقين إلى الأنشطة الاقتصادية والتجارة الدولية.

ما بعد الحرب.. وسؤال شرعية النظام العربي

الحرب الإسرائيلية الإيرانية، التي لم تتجاوز الأسبوعين، غاب عنها عنصر المفاجأة، فبعد استنفاد الصراع بالوكالة بين الطرفين كانت الحرب الخيار الوحيد، ليس من أجل تحقيق نصر استراتيجي حاسم، لأنه ببساطة غير ممكن، بل من أجل وضع الحرب نفسها كخيار محتمل قائم في أي لحظة، لكن هذه الحرب وما سبقها من أزمات عميقة في المنطقة، تطرح أسئلة عديدة حادّة على مجمل النظام السياسي العربي، وفي مقدمتها سؤال الشرعية، المتعلق بقدرة هذا النظام على تحقيق الاستقرار، ومدى امتلاكه الأدوات اللازمة لإنتاجه.

مفهوم الشرعية السياسية هو مفهوم تبادلي بين الحاكم والمحكوم، وهو مرتبط، ضمن هذه التبادلية بأمرين، يتمثّل الأول في قدرة السلطة على ممارسة الحكم، والثاني متعلق بقبول المحكوم بتلك السلطة، أي أن السمة الأساسية لمفهوم الشرعية هي السمة التعاقدية، الخاضعة للتغيّر من شرط موضوعي إلى شرط آخر، وفي السياق العربي ما بعد مرحلة الانتدابات تعدّدت مصادر شرعية الأنظمة العربية، ابتداءً من مناهضة الاستعمار، كما في بعض الحركات التحررية التي وصلت إلى الحكم، إلى شرعية الانقلابات العسكرية في غير بلد عربي، وصولاً إلى شرعية الانتخابات الشكلية، أو ديمقراطية المحاصصة الطائفية.

حروب العامين الأخيرين (2023–2025)، ولئن كان لا يمكن عدّها سبباً مباشراً لأزمة الشرعية في الأنظمة السياسية العربية، لكنها كانت كاشفة لعمق هذه الأزمة، فمثلاً، لا يمكن فصل مجريات الحرب الإسرائيلية على لبنان عن أزمة الشرعية في النظام السياسي اللبناني، حيث يعيش ويعتاش هذا النظام منذ «اتفاق الطائف» في عام 1989 على شرعية الظروف الدولية والإقليمية التي أنتجته آنذاك، دون أي سعي جدي للنخب السياسية لبناء شرعية حديثة تقوم على المواطنة بدلاً من الطائفية.

المثال اللبناني ليس فريداً في المنطقة، خصوصاً بعد تهدّم «الدولة الوطنية» في غير بلد عربي، فالعراق منذ عام 2003، يعاني مشكلة مزمنة في نظامه السياسي، إذ تتمسك النخب السياسية التي وصلت إلى الحكم بالصيغة التوافقية التي أنتجتها واشنطن وطهران، على الرغم من كل المشكلات التي أحدثتها هذه الصيغة، والتي لا تزال تقف عقبة في وجه بناء شرعية وطنية جامعة، ما أبقى العراق ساحة مكشوفة أمام الصراعات الخارجية الطاحنة، يدفع ثمنها العراق دولة وشعباً، شرعية سياسية مفوّتة لبلد من أهم بلدان العالم العربي جيوسياسياً ونفطياً وحضارياً.

في قلب هذه المعادلة، التي يتشكّل طرفها الأول من تسعير الصراع بين لاعبين إقليميين ودوليين كبار في منطقتنا، وبين الطرف الثاني للمعادلة، الذي تشكّله أزمة الشرعية لعدد من الأنظمة السياسية العربية، هناك العديد من المشكلات التي يجري تهميش تناولها أو حتى تفخّص تأثيرها، ففي عموم العالم العربي تراجعت الطبقة الوسطى كمّاً ونوعاً، وهي الطبقة الأشد تأثيراً في استقرار أي نظام سياسي، حيث جرت عملية تآكل منتظمة لها، أو إلحاق بعض نخبها بمنظومات الفساد القائمة، على حساب الأدوار الكبرى الاجتماعية والسياسية والتاريخية لهذه الطبقة، وليس بعيداً عن تآكل وتهميش الطبقة الوسطى زيادة الهوّة بين الدولة والمجتمع، أو إفراغ الدولة من مضمونها المؤسساتي لمصلحة هيمنة مفهوم السلطة.

هل الأزمة الراهنة هي أزمة نظام سياسي عربي محدّد، أم أزمة نمط مفوّت للشرعية، لم يعد صالحاً لإنتاج شرعية الدولة الحديثة؟

هذا السؤال المفصلي يبرز اليوم كضرورة أمام عودة منطقة الشرق الأوسط إلى بؤرة الصراع العالمي، إذ لا يمكن لدول المنطقة أن تواجه التحديات الكبرى التي يفرضها هذا الصراع الدولي/ العولمي دون تحديث لشرعية النظام السياسي نفسه، لكن هذا التحديث المطلوب تاريخياً كشرط من شروط البقاء الكياني والسياسي لعدد من دول المنطقة التي أصبحت ساحات مكشوفة لهذا الصراع تعاند حدوثه النخب المحتكرة للفضاء العام، بكلّ ما يتصل بهذا الفضاء من أدوات تنفيذية ممانعة لعملية التحديث.

تراجع شرعية النظام السياسي، مطلق النظام السياسي، تبدأ من تآكل قبول هذا النظام لدى الفئات الاجتماعية التي يزعم تمثيلها، أي من تقليص عملية التمثيل نفسها، واحتكار هذا التمثيل بدواعٍ مختلفة، دينية، وأمنية، وعشائرية، وأحياناً اقتصادية، غير أنه في المحصّلة، كل هذه المسميات هي تمثيلات منقوصة، يجري دعم بقائها لمصلحة نخبة محدودة من المجتمع، تستمد شرعيتها الفعلية من لعب أدوار وظيفية خارجية، مشتقة من الصراعات الدائرة في الإقليم، وليس من شرعية داخلية وطنية.

بعد أن وصلت حروب الوكالة إلى مرحلة الاستنفاد، ولم يعد بإمكان الدول الكبرى إقليمياً إدامة مفعولها، فإن الأنظمة السياسية ستكون آجلاً أم عاجلاً أمام متطلبات جديدة ذات صلة بمدى إمكانية استمرار هذا النمط من الشرعيات القديمة، ولا تبدو مروحة الخيارات المتاحة واسعة، فإما التوجه نحو إصلاح النظام السياسي، وبناء شرعيات تمثيل على أسس حديثة، وإما الانكشاف أكثر فأكثر، والانزلاق نحو صراعات داخلية، تفاقمت كل أسبابها خلال السنوات الماضية، وازدادت حواملها الاجتماعية، من الفئات التي جرى تهميشها طويلاً، وجرى إقصاؤها من ساحة التمثيل السياسي، وما يترتّب على هذا التمثيل من حقوق.

حسام ميرو

الاستبداد أصل الأزمة لا التعدد

في ظل استمرار الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان ضد الطوائف والأقليات في سوريا، وخاصةً العلويين في الساحل السوري والدروز في محافظة السويداء، يتجدد النقاش حول جذور هذه الإشكالية وسبل حلها في العديد من البلدان العربية.

جلال إبراهيم

معضلة العرب والمسلمين ليست في تعددهم مذهبياً وطائفياً وإنما في استمرار البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المنتجة للاستبداد

لطالما طُرحت إشكالية «التعددية» في العالم العربي والإسلامي بوصفها مصدرًا للأزمات، وكثيرًا ما يُحمَّلُ التنوع المذهبي والطائفي والعرقي، وحتى السياسي، مسؤولية التوترات والانقسامات. غير أن نظرةً فاحصةً إلى التاريخ والواقع تكشف أن الاستبداد هو الجذر الحقيقي للأزمة، لا التعدد.

التعدد في حدِّ ذاته ليس أزمة، بل هو سُنَّة كونية وفطرةٌ إنسانية. قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ». (الحجرات): 13. لا يوجد مجتمع بشري متجانس تمامًا. فقد تعايشت طوائف ومذاهب وعرقيات مختلفة في العالم الإسلامي قرونًا طويلة، بل وشكَّلَت غِنًى حضاريًّا وثقافيًّا فريدًا. بغداد العباسية وقرطبة الأندلسية كانتا مثالًا حيًّا على إمكانيات الازدهار في ظل التعدد.

الاستبداد السياسي هو المرض الأصلي الذي يحوِّل التنوع الطبيعي إلى لعنة. يقول عبد الرحمن الكواكبي: «الاستبداد يُفسد الأخلاق، يمحو الفضائل، ويُحيي الرذائل». فأنظمة الحكم الشمولية، بدلًا من أن تكون حَكمًا نزيهًا بين المكونات المختلفة، تتحوَّل إلى طرف في الصراع، فتغذي التعصب الطائفي وتوظفه ورقةً سياسيةً لضمان بقائها. وهكذا يصبح التعدد المذهبي سلاحًا في يد المستبدين، بدلًا من أن يكون مصدرًا لقوة المجتمع.

ولا يقتصر الخطر على الأنظمة السياسية فحسب، بل يمتد إلى البُنى الاجتماعية التقليدية التي تكرس الولاءات ما قبل الوطنية، وتُعيد إنتاج ثقافة الإقصاء عبر المناهج التعليمية وخطاب المؤسسات الدينية غير المجددة. فالمجتمعات التي تفتقر إلى ثقافة المواطنة والحوار تتحول إلى تربةٍ خصبةٍ للاستبداد، حتى لو تغيرت الأنظمة الحاكمة.

تجارب عديدة حول العالم أثبتت أن التعدد لا يتناقض مع الاستقرار، بل يمكن أن يكون مصدر غِنًى حين تُدار الدولة بطريقة ديمقراطية. سويسرا، مثلًا، بلدٌ شديد التعدد دينيًّا وعرقيًّا ولغويًّا، لكنه حقق استقرارًا وازدهارًا واسعًا من خلال نظام ديمقراطي يتيح تمثيلًا سياسيًّا حقيقيًّا. في المقابل، فإن دولًا عربية أُحادية المذهب أو اللغة لم تعرف الاستقرار بسبب القمع والاستبداد.

لذلك يمكن القول إن معضلة العرب والمسلمين ليست في تعددهم مذهبيًّا وطائفيًّا، فتلك قاعدة ثابتة في جميع الأديان، إنما معضلتُهم

تكمن في استمرار البُنى السياسية والاجتماعية والثقافية التي تُنتج بالضرورة هذا الاستبداد والتعصب.

الخروج من دوامة الفشل والانقسام في العالم العربي والإسلامي لا يكون بمحاربة التعدد أو إذابته قسرًا، بل ببناء دولة مدنية ديمقراطية تقوم على احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، وتكريس العدالة في توزيع الثروة والسلطة، وضمان حقوق الأقليات وتنوُّع الهويات، ووجود مؤسسات مستقلة تفصل بين السلطات وتكفل التداول السلمي للسلطة.

فالأزمة ليست في تعدد المذاهب، بل في فشل النخب السياسية والفكرية في تحويل هذا التعدد من نقمة إلى نعمة. والعبرة ليست في تغيير الحكام – كما حدث في بعض البلدان العربية إبَّانَ ثورات الربيع العربي وما بعده – بل في تغيير الثقافة الاجتماعية والسياسية التي تُنتج الاستبدادَ بأشكاله كافة.

ليف تولستوي في رواية «البعث»

حميد الملا

من باستطاعته الكتابة بهذا النفس المغرق في الطول والصبر والجلد على كتابة روايةً أشبه ما تكون بمجموعة روايات، غير تولستوي، الأديب العبقري صاحب «الحرب والسلام» و«آنا كارينا».
تقع «البعث» في ٨٦٨ صفحة، وصدرت ترجمتها، عن «دار المدى»، وهي آخر رواية كتبها تولستوي وأكملها في العام ١٨٩٩. صممت على قراءتها، مستمتعاً بهذا السرد الروائي الممتع الجميل.

يبهرنا تولستوي بمقدرته في أن يأخذنا إلى عالم روسيا القديم، روسيا القرن التاسع عشر، بكل ما فيه من مآس؛ النظام القضائي الفاسد، الرشوة، الفقر، الفساد المستشري، الإنحلال الأخلاقي، السجون، الإذلال، النفاق الاجتماعي، وبالضرورة إنحطاط المجتمع جراء كل ذلك، حيث يخبرنا الكاتب عن الأحوال المريضة لروسيا القيصرية، ومعاناة أهلها وعلى الخصوص الفلاحين وهم يعيشون في حالة مزرية، وحيث تكتظّ السجون مكتظة بالمعتقلين سواء أكانوا جنائيين أو سياسيين، مظهراً إسراف الطبقات الغنية في الملذات على حساب الشعب الفقير المغلوب على أمره.

يبدأ تولستوي روايته عن أحوال السجناء والمجتمع الروسي من خلال البطلين الرئيسيين في الرواية: كاتيوشا ماسلوفا والأمير ديمتري إيفانوفيتش نيكليودوف الذي أغوى كاتيوشا عند زيارته لعمتيه وسافر، لتكتشف بعد ثلاثة أشهر من سفره بأنها حامل، ونتيجة لذلك طُردت من منزل العمتين، ماريا وصوفيا إيفانفنا بسبب حملها منه سفاحاً، أما ابنها، وكان صبياً صغيراً مريضاً، فقد أُرسل إلى ملجأ لم يكد يصل إليه حتى مات، على الرغم من أنها كانت فرحة بذلك الوليد، وعلى الرغم من تلك الفرحة إلا أنها وفي حالة يأس فكرت في الانتحار (سيمر قطار، وسأتمدد على السكة، وينتهي كل شيء).

يصف تولستوي حال الأمير نيكليودوف ومشاعره المتناقضة: (وقد تصادمت فيه عاطفتان متناقضتان: كان الشاب، من جهة يطرب لذكرى اللذة التي جناها – وهي لذة أدنى كثيراً مما قدر – وكان يحس من جهة ثانية بأنه ارتكب عملاً شائناً، وأن من واجبه أن يتداركه، لا في مصلحة كاتيوشا، بل في مصلحته هو نفسه)، فقد أدى تصرفه مع الفتاة إلى صراع نفسي قلب حياته رأساً على عقب: (كانت هذه الذكرى تؤلمه أشدّ الإيلام، وتذلّه أشد الإذلال، وتُريه أنه، وهو الفخور باستقامته، قد تصرّف بجبن ودناءة مع هذه المرأة).

أصبح الأمير نيكلودوف بعد ذلك يلاحق الفتاة أينما حلت أو ارتحلت لمحاولة إصلاح غلطته بالزواج منها بعد أن دمرّ حياتها وقضى على مستقبلها، وبعد أن يأست في الحصول على عمل لائق لتنتهي في نهاية المطاف للعمل في دار للدعارة لتدبر أمور حياتها المعيشية (كان على ماسلوفا أن تختار بين أمرين، فإما أن تختار عمل الخادمة المُذل، فتعاني لجاجة الرجال وتنخرط في بغاء سري ومؤقت، وإما أن تختار وضعاً مضموناً وهادئاً، هو البغاء العلني الذي يحميه القانون ويكافأ عليه بسخاء. فاختارت الأمر الثاني بطبيعة الحال).

هذا الوضع الذي آل إليه حال كاتيوشا، بإنحدارها إلى أسفل قاع المجتمع أوصلها إلى أن تتهم بجريمة تسميم أحد زبائنها، بأن دست مسحوقاً في كأس (فيرابونت سميلكوف) وهو تاجر

سيبيري مما أدى إلى موته، وتشاء الصدف أن يكون الأمير نيكليودوف واحداً من اثنى عشر شخصاً محلفاً من جميع الفئات في هذه القضية التي حُوكمت فيها كاتيوشا مع اثنين آخرين، رجل وامرأة، (ياكارتنكين، وبوتشكوفا) وهنا يقول تولستوي على لسان نيكليودوف: «بدأ يعترف بدناءة فعلته وخُيّل إليه أن يداً قوية جاءت به قسراً ليشاهد غلطته. ومع ذلك فهو لم يشأ أن يرى الدلالة الحقيقية لما فعل، ولا أن يفهم ما تريد منه تلك اليد التي تدفعه. لقد أبى أن يصدّق أن عملها الشرير كان من صُنعه، لكن اليد الخفية كانت تمسك به، وتضغط عليه، وأخذ يحسّ مسبقاً بأنها لن ترخيه بعد الآن».

بعد مداولات المحكمة وقرار المحلفين حُكم على كاتيوشا، بالحرمان من الحقوق المدنية والشخصية، وأمرت المحكمة أن تُرسل إلى الأشغال الشاقة لمدة أربع سنوات، وفقاً لأحكام المادة 28 من القانون الجزائي، وبهذا الحكم الذي أتى بخلاف الواقع على اعتبار من أن المحلفين عند توصلهم لتلك النتيجة لم ينتبهوا إلى مسألة في غاية الخطورة وهي أن كاتيوشا لم تسرق مال القتيل وبالتالي لم تقصد القتل، إلا أن هذا الخطأ لم تتداركه المحكمة أيضاً.

وبناء على الحكم المذكور أصبح الأمير نيكليودوف مشاركاً مشاركة فعليه على الحكم على كاتيوشا ليضيف إلى إجرامه بحقها جرماً آخراً، وليحاول تدارك أخطاءه عيّن لها محامياً معروفاً ومشهوداً له بالكفاءة (فانارين) لتمييز الحكم المذكور، وسعى بكل الطرق إلى محاولة العفو عنها لدى السلطات العليا مستعيناً بمعارفه العديدين دون جدوى، فأقصى ما حصل عليه في مسعاه هو أن تحوّل للسجن مع السياسيين مما أدى لتغيير عقليتها كلياً ولتصبح امرأة أخرى، وأن يلتقيها في السجن ومساعدتها مادياً رغم رفضها المستمر لهذه اللقاءات والمساعدات ورفضها الزواج منه رغم حبها له، وكان لقسوة الحكم الذي صدر ضدها، وهي قسوة لم تتوقعها سبباً في ذلك.

حال رجوعها من المحكمة إلى السجن، وعند سؤالها من قبل النساء المسجونات معها: قالت بين شهقتين:

حُكم علي بالأشغال الشاقة!

فصاحت إحدى السجينات (كورابليوفا)

هؤلاء الجلادون الغاشمون، لا يخافون الله إذن! إنها لم تفعل شيئا؟ لم يحكمون عليها؟

يصف لنا تولستوي حال السجينة كاتيوشا من خلال لقاء نيكليودوف بها في السجن: (استطاع أن يلاحظ بأناة وجه السجينة. رأى الغضون حول عينيها وفمها، رأى تورّم الجفون، رأى المظهر العام للبلاء المبكر وللتقهقر. فأحسّ بالحزن يتغلغل فيه، واشتدت شفقته عليها).

ونتيجة لتأنيب الضمير، أخذ نيكليودوف بالدفاع عن كل المساجين وملاحقة قضاياهم مع المسؤولين محاولاً إطلاق سراحهم وتخفيف آلامهم بمختلف الطرق، فنسج علاقات معهم ووطدها، خصوصاً مع السجناء السياسيين منهم: (ينبغي ألا يُسمح بالإبقاء على الأبرياء في السجن). وكان يقدّم المعونات للسجناء الذين أخذوا يلتمسون عونه بأعداد لا تني تتزايد يوماً بعد يوم.

شغلت بال نيكليودوف قضايا أخرى: (أن يتوصل إلى معرفة: لماذا ألقي بهؤلاء الناس في السجن فعُذبوا بشتّى السبل، بينما يظل آخرون، من أمثالهم أو ممن هم أدنى من بعضهم أحراراً).

قسّم تولستوي الرواية إلى ثلاثة أقسام مترابطة بشكل دقيق، بحيث لن تستطيع إلا أن تنبهر بكيفية هذا الترابط والتداخل بين مجموع تلك الشخصيات العديدة ودور كل واحد فيها. كل شخصية من تلك الشخصيات تعبر وبشكل لا لبس فيه عما يعتمل في المجتمع الروسي من تفاعلات ناتجة عن الفساد الأخلاقي والتهتك المجتمعي والغبن والإجحاف والظلم بحق المستضعفين، فكانت هذه الرواية صرخة تولستوي الأخيرة ضد هذه الأوضاع وكانت أيضاً نقداً لاذعاً للمؤسسة الدينية والسياسية على حد سواء.

يمكن القول بأن رواية (البعث) تمثل صوت الضمير الإنساني حين يستيقظ والتكفير عن الذنوب ومواجهة الذات الأمّارة بالسوء.

قراءة في رواية «الطاهرة» للروائية كلارا إيدج

حسين آل ربيع

يقول الشيخ الرئيس: "المستعد للشيء تكفيه أضعف أسبابه." كلما تقدمت تجاربي في الحياة أدركت أكثرَ أن الإيمان لايمكن إثباته بالعقل بل إن العقل قد يفسد الإيمان في بعض الأحيان، وأن الإيمان هو الوجدان القلبي والعاطفي، عندما يؤمن الإنسان بعقيدة ما يتحول الى طاقة ديناميكية يصعب الوقوف في وجهها وكلما زاد العنف ضد معتقده زاد تمسكه به وإصراره عليه. لستُ قادراً بعْد على فهم هذه الحالات أو التشكيك في مدى صدق مدعيها ولو لم يكونوا صادقين مع أنفسهم وما اعتقدوا به لما دفعوا حياتهم في سبيله.

ربما من أكثر الأشياء التي اجتمع عليها المسلمون بكل مذاهبهم وتفرعاتهم العقائدية ألّا نبي بعد النبي العربي محمد (ص) وأن النبوة ونزول النص السماوي قد انقطع بعده، وأي شخصية تدعي النبوة في الأزمان المتأخرة ستلاقي رفضَ واستهجانَ العامّةِ فضلاً عن الخاصة.

أما في الحديث عن البابية التي دعى لها علي محمد الشيرازي (الباب) والتي آمنت بها ونظّرت لها الطاهرة (الشخصية ومحور الرواية)، لا أستطيع القطعُ إن كانت هي مذهب مشتق من الديانة الإسلامية محوره ظهور الموعود (المهدي المنتظر/ الباب) أو أنها شريعة جديدة تبشيرية مشتقة من الديانات السماوية محورها التنبؤ بظهور المبجّل (عودة المسيح/ البهاء)، أو أنها تدمج الإثنان معاً حسب نبوءة الشيخ أحمد الإحسائي (1753–1826م) بأن الموعود سيظهر أولاً ثم يمهد الطريق لظهور/عودة المبجل، ولأجل ذلك –بحسب النص الروائي– لابد من امتلاك مفاتيح الحكمة التي ستؤدي الى فتح الباب وظهور الموعود الذي سيبشر بعودة المبجل.

يعتبر الشيخ الإحسائي الملهِم الأول لفكرة ظهور الموعود وفي تحديد زمنه وكان تفسيره للقرآن –بحسب الرواية وكاتبتها تنتمي لذات العقيدة– تفسيراً يبحث فيه عن نبوءات المستقبل وعن الرموز وتؤيلاتها وكان يعتمد كثيراً على تأملاته الشخصية، وهي واقعاً طريقة غير مألوفة في التفسير مع تنوع التفاسير التي منها مثلاً التفسير الظاهري والباطني والفلسفي...الخ. وعلى مايبدو أن الإحسائي وظّفَ بعض الأفكار الفلسفية للفيلسوف صدرالدين الشيرازي المعروف بملا صدرا (1572–1640م) في سبيل تفنيد أفكار صاحب الأسفار، منها مثلاً إشارته الى المعاد الروحاني، وترقي الرمز (الشخصية) عبر الأسفار الوجدانية.

كان الإحسائي ومن بعده تليذه المريد سيد كاظم الرشتي يبشران بأن هذه العلامات الروحانية قد بدأت بالتحقق في شخصيةٍ ما وأنه سيظهر قريباً، وأن المعرفة بهذه الأمور تعد المفتاح الذي سيفتَحُ به الباب والعلامةُ التي سوف تدل عليه. انتقلت هذه الأفكار عبر تلميذه السيد كاظم الرشتي ومنه وصلت الى الطاهرة من خلال ابن عمها محمد علي البرقاني... انبهرت الطاهرة بهذه الفكرة وآمنت بها بعد مراسالات جرت بينها وبين السيد كاظم الذي سماها قرة العين في أولى رسائله، ثم آمنت بالفكرة كعقيدة بعد أن أعلن الباب للجماعةِ عن نفسه بأنه الموعود الذي يمثل الظهور الأول، ونذرَت الطاهرةُ نفسها لخدمتِه بعد أن وجدت فيه العلامات التي حددها أساتذتها من قبل ووجدت الطاقة الروحية في رسائله ثم انتقلت الى التبشير بالعقيدة الجديدة على أنها عقيدة لم تكن سرية بل تبشيرية.

كانت قرة العين فائقة الذكاء محبه للمعرفة وهي تنتمي الى عائلة إقطاعية ثرية والدها يملك الكثير من الأراضي وهو الملا صالح، كبير آل البرقاني في مدينة قزوين، وكانت تملك صلابةً وفصاحة في الخطابةِ الى جانب الحضور الكارمزي المؤثر.

وعلى مستوى الرواية لكاتبتها البابية/ البهائية كلارا إيدج نجد الكثير من الإسقاطات على الشخصية والأحداث وحتى الأفكار، والكاتبة على مايبدو متأثرةً بأفكار الحداثة أكثر من تأثرها بعقيدة قرة العين يظهر ذلك من خلال استخدام الكثير من المفردات الحداثوية مثل المساواة ونزع الحجاب وتحرير المرأة... الخ، وهذه الأفكار بطبيعة الحال لاتنتمي بأي شكل مع زمن أحداث السيرة مطلع القرن التاسع عشر 1817م ولا الى طبيعة المجتمع ذلك الوقت، مع أن الطاهرة امرأة فريدة كانت تمثل حضوراً وظاهرة نسوية استثنائية، ولكن تبقى الأفكار الحداثوية التي قدمتها المؤلفة وفق الإطار الزمني للشخصية تقع في اللامفكر فيه كما يقول أركون، مما أوجد خللاً في السرد الروائي قد يبعد القارىء في لحظات ليست بالقليلة عن زمن بطلة الرواية، إلا أنها لخّصت بعض أهم أفكار البابية/ البهائية بحيث يمكن اعتبارها مدخلاً لمن يريد البحث أكثر في طبيعة هذه العقيدة نشأتها وتحولاتها.

واللافت أيضاً هو تطرق الكاتبة للقرويات والفقراء الذين لايرتدون الحجاب والذين هم أكثر حرية من عوائل الأثرياء الذين يشددون على لبس الحجاب والتقيد بتعاليم وأعراف مجتمع الأثرياء والذي يعد الحجاب جزءاً أساسياً فيه، وهي إشارة الى أن الحجاب في ذلك الوقت كان من بين أدواره استخدامه للتمييز الطبقي بين نساء الإقطاعين الأثرياء والفلاحين وأهل القرى والفقراء، وكانت الكثير من نساء الأثرياء يغبطن القروايات على مستوى تحررهن، مع أن القرويين لهم أعراف ربما أشد من تلك التي عند الأثرياء في جوانب اجتماعية أخرى.

واقعاً أقف متحيراً من شخصية الطاهرة مترفةِ الثراء، ثاقبة الذكاء، باذخة الحضور والمعرفة أن تنذر حياتها القصيرة كلها من أجل فكرةٍ هي بمعطيات زماننا وطريقة تفكيرنا الحالي فكرةً ساذجة ليست رصينة فكرياً ووجدانياً وعقائدياً إنما جاءت من وحي رؤى وأحلام تأتي في المنام وتأملات فردية. تحولت الدعوة البابية الى الديانة البهائية وهي بحسب بعض التعريفات ديانة إبراهيمية منفصلة عن الدين الإسلامي معتنقيها من الأقليات، موحدون يؤمنون بالله الواحد وبوحدة الأديان كلها. ويعتبر بهاء الله حسين علي النوري هو المؤسس.

ظهور هذه العقيدة أو الديانة الجديد في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي/الثالث عشر الهجري وبهذا الشكل والسرعة غريباً، ولكنه ليس مستغرباً على بلاد فارس ذات التنوع الكبير بلاد الأديان والمذاهب والمعتقدات القديمة والجديدة والذهنية العرفانية التأملية هذه التنوعات تشكل فسيفساء السجاد الإيراني بنسيجه بالغ التعقيد.

نقتبس من الرواية ما يشكل الخلاصة: "بمثل هذه الروحانية، اعترفت (الطاهرة) بإيمانها بعظمة (الباب) ودعوته، وبالمظهر التالي الذي سيلقّب (بهاء الله)، والذي سبق التبشير بظهوره (الشخ الإحسائي والسيد كاظم)، أنه سيأتي 'بمجد الآب السماوي' « ص196. وبهذا تكتمل أركان الدين الجديد الذي سيُعرفُ أتباعه بالبهائية. بظهور نبي فارسي ثري (حسين علي النوري/ بهاء الله) كان يعيش في قصر له في مدينة نور في طهران 1820م قد شكّل إلهاماً لبعض المتعصبين للقومية الفارسية من طبقة الأثرياء أصحاب النفوذ فهو يحمل صفاتهم وأحلامهم، من هنا –وإضافة الى ماتعرضوا له من قمع الدولة القاجارية التي تعتمد الشريعة الإسلامية– يمكن أن نفهم مقتَ معظم معتنقي هذه العقيدة للمسلين الفرس وللجمهورية الإسلامية ولماذا كان سعي معظمهم للإطاحة بها منذ بداية تأسيسها. بحسب رؤيتهم القومية المتشددة يعتبر الدين الاسلامي امتداداً لثقافة العرب، وهذه بطبيعة الحال فكرة غير دقيقة لأن الدين الإسلامي قد امتزج بالحضارة الفارسية منذ زمن بعيد، وأن كل الدول والإمبراطوريات التي مرت على إيران منذ بداية العصر الإسلامي الى اليوم هي دول ذات طابع إسلامي فارسي، كما تأثر الفرس بالعرب كذلك تأثر العرب بالفرس بصورة يصعب تفكيكها.

يعتنقد الديانة البهائية أشخاص من إيران ومن دول بعيدة عن إيران تجد من بريطانيا (مثل كلارا كاتبت الرواية) وأمريكا واستراليا إضافة الى آذربيجان والهند وتركيا ومناطق اخرى حول العالم وعددهم بحسب الإحصائيات التي وجدتها على موسوعة ويكيبيديا حوالي 7 ملايين موزعين حول العالم.

تعامل الشاب ناصر الدين شاه القاجاري 1848م ورجال السلطة الذين تحت إمرتِه ووشايات بعض كبار رجال الدين، برعونة شديدة مع أتباع الدعوة الناشئة حديثاً بهدف القضاء عليها تماماً، حصلت معارك وفوضى قُتِل فيها الكثير من البابيين وتم إعدام جزء كبير ممن تبقى منهم الى أن أعدِمَ أصحاب الدعوة نفسهم علي محمد (الباب) و حسين علي (البهاء) وصولاً الى فاطمة البرقاني القزوينية (الطاهرة). والحقيقة أنك إذا تعاملت مع ظاهرة دينية ناشئة بالقمع المفرط والقتل من أجل القضاء عليها مبكراً، فإن النتيجة – حسب الشواهد التاريخية العديدة – ستكون عكسية تماماً، وأن الظاهرة ستزداد ديناميكيةً وانتشاراً بالتدريج مع الوقت، وسيزيد القمع والتقتيل ضدها من قوتها الأيديولوجية التي ستضيف لها دافعاً يمكن توظيفُهُ عقائدياً لبقائها واستمراريتها.

فـن تحـويـل الخـراب إلـى جمـال

في بداية الحرب الروسية الأوكرانية عرضت إحدى محطات الأخبار صوراً للأوكرانيين وهم يقومون بتغطية النصب التذكارية في العاصمة كييف بحواجز من الأسمنت والمعدن لحمايتها من خطر القنابل، ولحظتها دار في نفسي سؤال: ما قيمة هذه الأشياء أمام الأرواح التي ستزهق ضحايا للحرب، وبعدها بعامين بكيت حرقة عندما عرضت شاشات الأخبار صوراً للقصر الجمهوري وجامعة الخرطوم العريقة وقد طالتهما نيران الحرب وأحدثت بهما أضراراً جسيمة في عاصمة وطني الخرطوم، وساعتها تفهمت لماذا قام الأوكرانيون بحماية نصبهم التذكارية ومعالمهم الوطنية، فلهذه الرموز، إن أصابها الخراب، ألماً لا يقل وجعه عن وجع فقد عزيز.

فائزة مصطفى

الحروب في تأريخ الشعوب صفحات سوداء، وهي كما تغيّر مصائر الناس تغيّر أيضاً تاريخ البلد، وتهدم رموزاً وتبني رموزاً أخرى، تنهي حضارات وتمسح سيرتها من الذاكرة وتسطر مكانها تأريخاً جديداً، ورغم كل هذا الخراب دائما هناك ضوء في آخر النفق. صحيح أن الحرب تنهي أول ما تنهي الإقتصاد والبنى التحتية للبلد، لكن السلام إن جاء تأتي فرص وأفكار جديدة وإقتصاد جديد

منذ عشرات السنين إبتكرت دول الإتحاد السوفيتي السابق ويوغسلافيا السابقة بعد الحرب العالمية الثانية نوعاً جديداً من الدخل المالي المعتمد على نوع مغاير من السياحة، سياحة ما بعد الحروب. شيء يشبه تحويل الخراب الى لوحة فنية، عبر المحافظة على بقايا آثار الحرب وتحويلها الى متاحف مفتوحة في الهواء الطلق، والإبقاء على الخنادق الحربية والملاجئ وبقايا الأسلحة الثقيلة من المدافع والدبابات في أماكنها التي كانت عليها وقت الحرب وتحويلها إلى مزارات تجذب السائح المهتم بالتأريخ والشغوف بمعرفة الحرب التي شكلت عالم اليوم، وفتح هذا النوع من صناعة السياحة آفاقاً اقتصادية جديدة لهذه الدول وفرص عمل جديدة لأبناء شعوبها، فبوجود السلام يمكن تحويل الرماد الى شعلة أمل.

ماقدونيا الشمالية دولة في عمق أوروبا كانت في الماضي تابعة ليوغوسلافيا وجدت نفسها بعد الحرب التي أدت الى تفكك الإتحاد في وضع غريب، طوال تاريخها كانت مستعمرة من عدّة دولٍ وإمبراطوريات، لم يحكمها أحد أفراد شعبها إلا بعد تفكك يوغوسلافيا، لا تحتوي عاصمتها سكوبية على أي معلم يخبر عن الحضارات التي كانت على أرضها، على الرغم من أن باقي أجزاء ومقاطعات البلاد غنية جدا بالمعالم التاريخية والمناظر الطبيعية الفريدة الجاذبة للسياحة. وأمر غريب في عاصمة بلد يقع في قلب قارة تفتخر بأنها القارة العجوز وتباهي بقصورها من العصور الوسطى وتماثيل ملوكها وأباطرتها أن تكون عاصمة ماقدونيا الشمالية خالية من أي معلم يثبت أنها كانت منذ بدء التاريخ، كما هي كامل القارة الأوروبية، فهذا أمر يتطلب المعالجة.

ولهذا قامت الحكومة هناك بفعل يعتبر سابقة في نوعه، بأن شيّدت نصباً تذكارية لشخصيات تاريخية في عاصمتها من كافة أنحاء أوروبا قيل أنها مرّت على أرضها، وبنت جسوراً على إمتداد النهر داخل العاصمة بالطراز الذي كانت عليه جسور القرون الوسطى، وشيّدت القصور بالفن المعماري للقرن الثامن عشر، ومباني الحكومة لتبدو كما لو أنها كانت هنا منذ القرن التاسع عشر، حتى أنها بنت، في أكبر شوارعها، قوساً للنصر شبيهاً بقوس النصر في باريس، وسعت الحكومة بكل ما لديها من طاقات إلى أن تكتسب العاصمة مظهراً يثبت جذورها التأريخية ويلحقها بركب الصناعة السياحية، والنتيجة التي حصلت عليها هي سخرية جيرانها الأوروبيين والنكات التي أطلقوها على هذه المعالم.

قيل إنّ القصور في عاصمة ماقدونيا الشمالية تمّ بنائها بمرمر إبتاعته حكومتها من شركتي البيع الإلكتروني الصينية «تيمو» و«شي إن». قيل أيضا إنّ عاصمة ماقدونيا الشمالية تحتوي على مئة وثلاثين نصباً تذكارياً وتماثيل مصنوعة من الكرتون المقوى، وأنّ الجسور فيها مبنية بالبلاستيك. وبسبب هذه السخرية وسمعة التزييف التي إلتصقت بها تدفق السياح على عاصمة إسكوبيه لرؤية هذه المعالم والنصب المزيفة والتقاط الصور لنشرها على مواقع التواصل الإجتماعي، وفي المحصلة النهائية فإن ماقدونيا الشمالية نجحت، بشكل أو بآخر، في تحقيق هدفها في صناعة السياحة، واستطاعت اللحاق بركب قارتها في إثبات عراقة عاصمتها وماضيها القديم.

كان لسوريا أيضاً في أواخر أيام حكم بشار الأسد، وبعد انتهاء الحرب الأهلية خطوة واعدة في صناعة السياحة بعد الحروب، فقامت وزارة السياحة فيها بدعوة أشهر أصحاب القنوات السفر والرحلات من «يوتيبرز» إلى زيارة أرضها بعد الحرب ومشاهدة البلد، وهي تحاول استعادة عافيتها شيئاً فشيئاً بعد حرب قبل بأنه نتجت عنها أكبر رحلة نزوح و شتات في العصر الحديث، وقد تابعتُ زيارة «يوتيوبر» كولومبي شهير لسوريا، قدّمت له الدعوة من وزارة السياحة السورية، فجاء الى سوريا قادماً من تركيا، وعبر الأراضي االسورية من أقصاها الى أقصاها، وبثّ ما شاهده في حلقات حظيت بأعلى نسب مشاهدة في قناته.

وعلى كثرة ما عرضته قنوات الأخبار عن فظاعة الحرب السورية، كان فضول المتابعين لرؤية ماحدث في سوريا بعين جديدة وسماع القصة من أفواه أهلها كبيراً، لأنهم رأوا جانباً من الحدث لم تعرضه قنوات الأخبار، خاصة وانه قدمت لهذا الكولومبي الشهير كافة التسهيلات وحرية التنقل وإجراء المقابلات وإبداء رأيه في ما يراه، فصوّر بعدسة كاميرته أطفال سوريا وهم يركضون في الشوارع حفاة متسخون لكنهم سعداء لأنهم إستطاعوا أخيراً اللعب في أمان، كما صوّرت كاميرته الخنادق والمخابئ التي خلفتها المليشيات والتنظيمات المسلحة، وصوّرت أيضاً المنتجعات السياحية وقد تحولت الى خراب ونمت فيها الحشائش والأشجار العشوائية، كما صوّر كيف أن أشهر وألذ المأكولات والصناعات السورية اليدوية يمكن شرائها بأرخص الأثمان بعد أن فقدت الليرة السورية الكثير جدا من قيمتها.

إنها صور سوريالية تحكي كيف أن الخراب ينشأ في عمق الجمال، وأن الجمال يوجد في قلب الخراب ..لا فرق كلاهما يدفع في النفس الرغبة في المشاهدة والتأمل، كما بدا ذلك في فرحة العاملين في قطاع السياحة برؤية عودة السياح متمثلين في شخصه ولطف تعاملهم وكرم الضيافة، وفيما التقطته كاميرته من صور المعالم التاريخية لتذكير العالم أن سوريا أرض للحضارة، كما أظهرت حياة الناس بعد الحرب وكيف أن الحياة في النهاية تنتصر دائما على الموت.

كانت الحلقات من أجمل ما شاهدت على يوتيوب الناطق بالإسبانية وحققت نجاحاً كبيراً. إنها خطةة مهمّة في مشوار صناعة السياحة ما بعد الحروب، أتمنى أن تليها خطوات وخطوات تقود سوريا الى الآفاق المرجوة في عهدها الجديد، فصحيح أنّ الحروب تهدم لكن السلام أن أتى يصلح معه كل شيء، والخراب الذي لا يمكن ترميمه لا يجب هدمه بل بالقليل من الجهد يمكن تحويله إلى قطع فنية، الخنادق والملاجئ بالكثير من الإعلانً يمكن أن تصبح مزارات جاذبة.

زمـــن «النخلـــة والجيـــران»

محمد ديتو

كان يوم السابع عشر من أغسطس 1990، رماديا في موسكو. السماء ملبدة بغيوم داكنة تنذر بأمطار قادمة. سادت أجواء الوجوم والترقب المشحون بالتوتر على الأنباء العالمية بعد مضى أكثر من إسبوعين على غزو صدام المفاجئ للكويت. إلا أن حالة من الحزن المختلف خيّمت على أجواء القاعة الرئيسية لدار النشر السوفيتية «دار التقدم».

في وسطها كان نعش مغطى بباقات من الزهور، محاطاً بأربعة من «حرس الشرف» يتناوبون على حراسته. تدفق العشرات من أبناء الجالية العربية، غالبيتهم من المنفيين العراقيين على القاعة، منهم من كان ينتحب ..ومنهم من يبكي بدموع غزيرة دون صوت. بعد إلقاء كلمات تأبينية عن الراحل، انطلق موكب السيارات حاملا النعش، تقوده سيارة الشرطة. فتحت الأضواء الخضراء في كل الشوارع من مبنى «دار التقدم» الكائن قرب حديقة غوركي حتى مقبرة ترويكوروفسكوي في ضواحي موسكو.

ما أن نثر الناس التراب فوق قبر الأديب حتى إنهمر المطر بغزارة...على قبر الأديب المعمول من الغرانيت الأسود وضعت لافتة مرمرية مكتوب عليها باللغة العربية: «غائب طعمة فرمان»، وبالقرب منها تمثال مرمري لكتاب عنوانه «النخلة والجيران». إستحضرنا أعلاه مشهد جنازة المترجم والأديب العراقي «غائب طعمة فرمان» (المصدر: «غائب طعمة فرمان – أدب المنفى والحنين الى الوطن» (د.أحمد النعمان – دار المدى 1996)، بمناسبة حلول ذكرى وفاته الخامسة والثلاثين هذا العام، لنبيّن مدى التقدير العالي الذي حظي به من قبل الدولة السوفييتية آنذاك نظير انجازاته الكبيرة في ترجمة روائع الأدب الروسي طيلة ثلاثين عاما عمل فيها في دار «التقدم»، و دار «رادوغا» منذ مطلع الستينات من القرن الماضي. وهو تقدير يفوق كثيرا ما حظي به في وطنه، باستثناء وسط محبيه وقرائه.

هناك «غائبان» إذا صحّ التعبير: المترجم والروائي. الكثير ربما لمحوا اسمه بشكل عابر في الصفحة الثانية من الطبعات الأنيقة لروائع وكلاسيكيات الأدب الروسي التي أصدرتها دار التقدم. عبر ترجماته تعرّف قراء العربية على أعمال إيفان تورجنيف في خمسة مجلدات، ورواية «القوزاق» لتولستوي، ومجموعة من قصص دستويفسكي وماكسيم غوركي، ورواية «المعلم الأول» لجنكيز إيتماتوف، بالإضافة إلى بضعة أعمال للكاتب الروسي الشهير بوشكين. ترجم نحو ثلاثين عملاً من

كلاسيكيات الأدب الروسي، وهناك من يقول بأن إجمالي ما ترجمه يناهز الثمانين كتاباً إذا ما أخذنا باعتبارنا الكتب العلمية التي كانت تصدرها دار «التقدم «. كان نشاط الترجمة والنشر في الاتحاد السوفيتي آنذاك هائلا، وهي ظاهرة استفاد منها العالم العربي بصورة غير مسبوقة في تاريخه الحديث، خاصة في مجال الانفتاح على كنوز الأدب الروسي والسوفيتي، بالاضافة الى الكتب العلمية والتقنية.

حتى بداية التسعينات كانت دار «التقدم» تصدر ما يقارب ألفين عنوان جديد من الكتب بطبعات تتجاوز الثلاثين مليون نسخة في غالبية لغات العالم الشرقي والغربي. للأسف أنه بعد عام واحد من وفاة «غائب» إنتهت قصة «دار التقدم»، ويبدو أن جنازة «غائب» في صيف 1990 كانت نذيراً لجنازة الدار التي عمل بها، والتي تم تصفيتها وإغلاقها نهائيا عام 1991.

حين نتأمل في سيرة حياة «غائب»، نلاحظ من جانب كثافة وغنى التجارب التي عاشها منذ ولادته عام 1927 في بغداد حتى استقراره بعمر الثالثة والثلاثين في منفاه الأخير بموسكو عام 1960، ومن جانب آخر غزارة العطاء طيلة الثلاثين عاماً التي قضاها في الاتحاد السوفيتي حتى وفاته: عطاء أدبي تمثّل في نشاط غزير بالترجمة وكتابة ثمانية روايات: النخلة والجيران (1966) – خمسة أصوات (1967) – المخاض (1973) – القربان (1975) – ظلال على النافذة (1979) – آلام السيد معروف (1980) – المرتجى والمؤجل (1986) – المركب (1989).

أشهر رواياته على الإطلاق «النخلة والجيران» كتبها في موسكو مستحضراً فيها بدقة متناهية تفاصيل حياته كما عاشها في طفولته وبداية شبابه في بغداد إبان الحرب العالمية الثانية.

ويبدو أن حياته إنقسمت الى شطرين: ما قبل وما بعد موسكو. سندهش حين نعلم حجم المعاناة التي مرّ بها في طفولته وشبابه، وهي معاناة على الرغم من قسوتها، إلا أنها شكلت منهلاً لا ينضب لإبداعه الأدبي. في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي، أمضى أربع سنوات في مصر للدراسة الجامعية، حيث تشكلت هناك بواكير وعيه الأدبي والسياسي، وتعرّف على نجيب محفوظ وسلامة موسى وطه حسين، كما بدأ بنشر أولى محاولاته بالقصة القصيرة في المجلات المصرية آنذاك. بعد عودته إلى العراق مطلع الخمسينات عمل كصحفي في صحيفة «الأهالي» لسان حال الحزب الوطني الديمقراطي في العراق. وكتب عن معاناته في العمل الصحفي آنذاك: «إن الصحفي عامل بالمعنى الحقيقي للعامل..يرتبط مصيره بآلة الطبع يُوّفر لها غذائها ومن عصارة فكره يمدها بأسباب الحياة، ومن عمره المحطم على عتبيتها يطول عمرها ويمتد !». لجأ «غائب» لكتابة القصص القصيرة حين يخلو إلى نفسه، وهدفه كما يقول: «أن أنقل بعض من صور المجتمع العراقي الممتلئ بالصور القاتمة».

ساهم قلمه الصحفي في كتابته القصصية ولاحقاً الروائية خاصة في إلتقاط مشاهد الحياة العامة في بغداد آنذاك ووصفها بدقة.

أصدر «غائب» في الخمسينات مجموعاته القصصية «حصيد الرحى» و»مولود آخر»، والتي تمّ إعادة نشرها من قبل دار المدى في عام 2020. ثلاثة عناصر صقلت أسلوبه الروائي؛ خبرته في الكتابة الصحفية، وعمله لاحقاً كمترجم، بالإضافة إلى ذاكرته القوية لتفاصيل ماعاشه في طفولته وشبابه، ذاكرة وفرت له مخزوناً لا ينضب من المشاهد والحوارات استلهمها لاحقاً في أعماله الروائية. يلفت النظر أيضاً إعتماده على اللهجة العراقية في حوارات شخصيات أعماله.

على الرغم من أن «غائب» لم يكن ناشطاً سياسياً بالمعنى التقليدي والحرفي، إلا أن كتاباته الصحفية وعدائه للاستعمار والاستبداد البوليسي في بلاده كلفه الكثير. أسقطت عنه الجنسية مرتين: الأولى عندما كان متجها إلى بوخارست للمشاركة في مهرجان الشبيبة والطلبة الدولي الرابع في بوخارست عام 1953، وبعد فترة تشرد في المنافي ذهب الى الصين حيث عمل مترجما في وكالة أنباء الصين الجديدة.

وبعد ثورة 14 يوليو 1958 التي أطاحت بالنظام الملكي، عاد غائب إلى العراق، وتمّ إرجاع الجنسية إليه، وعمل في الصحافة لفترة قصيرة، إلا أنه شعر باضطراب الوضع السياسي وعدم استقراره مما دفعه لمغادرة العراق عام 1960 متجهاً الى موسكو ليستقر فيها حتى وفاته.. بعد انقلاب الثامن من فبراير 1963، أسقطت الجنسية عنه مرة أخرى على الأرجح لعلاقته القوية بالحزب الشيوعي العراقي، الذي اهتم به وساهم كثيرا في الترويج لإبداعاته الأدبية.

زمن «النخلة والجيران»:

حاولت قراءة رواية «النخلة والجيران» منتصف الثمانينات، حين أعارني إياها أحد الأصدقاء العراقيين أيام دراستي الجامعية في برلين بألمانيا الديمقراطية آنذاك. لم أستطع إكمالها، وبررت السبب لصديقي في صعوبة فهمي للهجة العراقية القديمة التي تحفل بها الرواية. كان هناك سبب خفي لم أصرّح به، وهو أن جو الرواية كئيب للغاية، ولا يوجد بها أبطال ثوريين يلهمون قارئ يساري شاب مثلما إعتدت عليه في رواية «الأم» لمكسيم غوركي على سبيل المثال.

حين أعدت قرائتها بصبر وتأني مطلع هذا العام (بعد إنقضاء أربعين عاما على محاولة القراءة الأولى)، فتنتني الرواية بمشاهدها، وحواراتها البسيطة ولكن العميقة بدلالاتها. خامرني شعور بأنني أدلف الى عالم بعيد، ولكنه مألوف في نفس الوقت.

لا أعلم السبب، ولكنني شعرت بأن ما فعله غائب فرمان روائيا في «النخلة والجيران»، يشبه إلى حد بعيد ما أبدعه المخرج الكويتي خالد الصديق لاحقا في فيلمه «بس يابحر».

إذ على الرغم من اختلاف السياق والتفاصيل، إلا أن كليهما (فرمان والصديق) اشتركا في تبيان حقيقة أن ذلك الزمن لم يكن «زمناً جميلاً» كما يحلو للسرديات النوستالجية ترويجه. كانت حياة صعبة وبائسة للغاية، ومايزيدها بؤسا هو الوعي السطحي بالواقع من قبل من يعانون منه.

ما كتبه غائب فرمان في روايته عن بغداد الأربعينات، وما صوّره خالد الصديق عن حياة ومآسي العيش في زمن الغوص بالكويت، يبدوان متشابهين من منظور الكادحين والمهمشين في المجتمع. في الرواية: تتوهم «سليمة « الخبازة الثراء الذي سيجلبه لها فرن كهربائي للخبز فتتعرض للنصب من المحتال مصطفى الذي يسلبها كل ما تملكه.

في الفيلم: يعتقد الشاب «مساعد» بأن خلاصه من فقره سيتم عبر الغوص من أجل الدانة التي ستجلب له الثراء وتمكنه من الزواج بحبيبته فيموت غرقاً. ما يبدو أنه أحلام مشروعة انتهت بوصفها أوهام زائفة لأنّها قائمة على وعي زائف بحقيقة الواقع.

في هذا أصاب الناقد فيصل دراج في تحليله العميق للرواية عبر موضعتها ضمن إشكالية وعي الناس لواقعهم: كيف يعي الناس ما يعيشونه من ظلم وبؤس في حياتهم؟، كيف وعى المهمشون والكادحون في بغداد الحرب العالمية الثانية الأحداث التي عايشوها؟». غائب فرمان «عالج الإشكالية بصراحة وبلا رتوش تجميلية أو نوستالجيا حالمة.

لم يكن الماضي بالنسبة له «زمناً جميلاً». ساد الغبن الاجتماعي بدلاً من الوعي الاجتماعي. حقد البسطاء وغضبهم من الإنجليز المستعمرين مثلا، تروّاح ما بين تأييد حرب هتلر ضد الإنجليز، والتهافت على الحصول على أي فرصة عمل توفرها معسكرات الجنود البريطانيين للعاطلين المعدمين. كانت مواقف متناقضة. وعيهم بالحداثة لم يتجاوز مسألة المقارنة بين «الصمون» الذي تنتجه الأفران الحديثة مع الخبز التقليدي المعجون والمخبوز باليد.

ربما كان هذا الوعي «الناقص» لدى شخصيات الرواية مقابل الظلم التي يتعرضون له في حياتهم هو ما دفع بإحدى الشخصيات الرئيسية «حسين» إلى ارتكاب جريمة القتل انتقاماً من أحد بلطجية الحي كما سنقرأ في نهاية الرواية. الدلالة واضحة: ظلم و فقر، وانسداد أفق، مع وعي سطحي، كل ذلك سيؤدي بالضرورة إلى عنف دموي. حدث ذلك في زمن رواية «النخلة والجيران» إبان الحرب العالمية الثانية. هل سيختلف الأمر كثيراً لو تكررت هذه الخلطة الفتاكة الآن؟

كارمن: تمجيد التمرُّد وقتل الحرية مع الإصرار والترصد

د. زهراء المنصور

«حتى أنت يا بروتوس!»

جملة شكسبيرية شهيرة تنبثق تلقائياً حين نتحدث عن الخيانة من أقرب الناس. وبرغم أنها جملة معروفة الحدث والمآل، لكن يظلّ جمهور المسرح يُقبل عليها في كل مرة، مدفوعاً برغبة الاكتشاف، لا بالدهشة. فما الذي يجعل المتلقّي يذهب طوعاً لعرض معروفة نهايته مسبقاً؟

يُعدُّ الذهاب لمشاهدة عرض مسرحي متعة قادمة منتظرة، ودهشة تستحق التدقيق والتحقق من العناصر المسرحية على المستوى الظاهر المرئي، دون السماح لأي خلل أن يُفسد ما تمّ التخطيط له بدقة، أو ما يحدث في خفاء الكواليس، حيث يظهر الانضباط الذي يخلق هذه المتعة، دون وجود خلفية مسبقة عما سيجري بالنسبة للمتلقي. فماذا عن العروض الكلاسيكية التي قُدمت في كل العالم بشكل يصعب حصر عدده؟ ولمَ يصرُّ المهتمون على حضور نسخ جديدة منها؟

الحاصل أنه، عند إعادة تقديم عمل كلاسيكي، لا يتعامل المبدعون معها بوصفها نصوصاً قديمة؛ بل أعمالاً أثبتت قدرتها على البقاء، وصمدت كل هذا الوقت؛ لأنها مسَّت جوهر الإنسان وقضاياه، وأعادت طرح أسئلة للحاضر عبر استحضار الماضي، وهذه القوة هي التي تتحلى الكلاسيكيات بها: إعادة تشكيل المادة بحيث تكون القابليَّة للتأويل مستمرة، خصوصاً حول مفاهيم مطلقة ويمكن أن تمسّ أي مجتمع؛ مثل الحرية/ الهوية/ السلطة الأخلاقية، ويصبح كل تأويل له شهادة على السياق الذي خرج منه.

حضرت في ذهني كل هذه الأفكار قبل بدء عرض «كارمن» في مسرح الطليعة بالقاهرة، لمؤلف الرواية الأصلية بروسبير ميريمي في 1845م. يذكر أكثر من مصدر أنه تمّ الالتفات إليها وإلى معانيها، حين ظهرت على شكل أوبرا من تأليف جورج بيزيه، وعُرضت تقريباً بعد ثلاثين سنة من كتابتها كرواية. والسؤال الرئيس هو: كيف لحكاية معروفة الأحداث، كُتبت في القرن التاسع عشر، أن تقال من جديد وبشكل فرجوي ممتع كأنَّها المرة الأولى؟ وبطبيعة الحال، شاهدت –شخصياً– نسخاً وأشكالاً متعددة بحكم التخصص والاهتمام، لكن –ربما– يبدو هذا حافزاً إضافياً لمشاهدته نسخة جديدة بقيادة محترفة للمخرج ناصر عبدالمنعم، الذي سبق له تقديم أعمال مميزة، من بينها عروض مأخوذة عن روايات معروفة، كما لا يُخفي المخرج أن اختياراته الفنية مرجعها اهتمامه بتسليط الضوء على الثقافات الهامشية التي قدّمها من خلال عروض مسرحية كان آخرها «أحدب نوتردام» قبل أربع سنوات، وعروض أخرى، حتى لو لم تكن قد شوهدت، لكن عناوينها دالة على اهتمامات المخرج المختارة بعناية شديدة.

استخدم المخرج طريقة دائرية لعرض نسخته من «كارمن»؛ حيث انتهى من حيث بدأ في استرجاع زمني (flash back) لنفس المشهد، وهذا تكنيك ليس مستخدماً في الرواية الأصلية؛ وما بين المشهد الأول والأخير انتقالات زمنية وأحداث متتالية تجاوزت في عمر العرض المسرحي الساعة والنصف بقليل، غير أن عبدالمنعم عمل على عرضه بشكل متواصل، وبلا إظلام أبداً، بتكنيك أداء توزع بين فعل الدراما والأداء الحركي وتكنيك أقرب للسينما أيضاً، وهذا ما أكسب العرض غِنىً بصرياً مريحاً للعين، وكل مشهد مصنوع بدقة فنان متمكن؛ يعي إمكانيات طاقمه، ويعرف طاقاتهم الأدائية على الخشبة، وهكذا اختار "الزئردة" –كما كان الفنان محمد صبحي يلقّبها في مسلسل يوميات ونيس– ريم أحمد؛ التي أنهت دراسة

الباليه والفنون المسرحية، واستطاعت تأدية دورها بجدارة؛ بسببٍ قدرتها على الأداء التمثيلي والحركي معاً، وهو دور صعب، يليق بمهارتها العالية، وحضورها على الخشبة لأداء دور كارمن الرئيسي، والمعقد أيضاً.

وكارمن هي تلك الأنثى الغجرية التي تجمعها علاقة عاطفية بالضابط المجند خوسيه، ولا تفلح حلقاتهما في الاشتراك في دائرة موحدة تجمعهما في طريق! وتحمل الجملة السابقة نقيضين معلنين: الغجرية والعسكري؛ من ثقافتين مختلفتين ومتضاربتين، تمثلان –حسب قوانين الديالكتيك التي تحكم التفكير الجدلي وفهم التغيير والتطور في الظواهر، والمرتبطة بفلسفة هيجل وكارل ماركس، قانون الوحدة والصراع بين الأضداد– تولد التوتر الذي يقود إلى التطور، مع الالتفات إلى التناقضات الداخلية التي هي أساس الحركة والتغيير، وهنا المسألة تقع بين شدّة ورخاوة، لذلك وقع هذا الانجذاب.

ولا بد من النبر في الشخصية الرئيسية التي يقوم عليها الحدث كله، وفهم نفسيتها ومنطلقها؛ كارمن المتمردة، التي تقف في وجه كل ما يراد أن نطيعه صاغرين بدون مناقشة، وكلمة "لا" حاضرة لديها متى ما أرادت هي ذلك، دون أن تهتم بتبعات كلمتها الصارمة، وهذا المعنى لوحده يبرر لماذا تتم إعادة تقديم الكلاسيكيات! لكن هل كانت كارمن حرّة حقاً؟ أم أن طبعها هذا مألوف، ولكن في منظومة ذكورية خانقة، تحول دون أن تكون ملك نفسها بالكامل، بل هي تتصرف وفق منطق بيئتها التي يعتمد الذكور فيها على ما تجنيه الإناث بشتى الطرق، وهذه النقطة متصلة بنفسية البطلة التي تنتمي إلى الغجر المعروفين في كل الثقافات بعدم التقيد بالأنظمة، بالإضافة إلى السحر والشعوذة والاحتيال، لذا كان شعورها بالهشاشة مفهوماً، وإن لم تصرح عنه نطقاً؛ وهو شعور موجود في المجتمعات المتزمتة التي تفرض على إناثها شكلاً وأداءً يصدران صورة التحكم والسيطرة، لكن حين يسنح لإحداهن الخروج من هذه الشرنقة، ستكون النقلة –في الغالب– تميل للتطرف والابتذال، كما تشير الشواهد الحية من النقيض للنقيض، وكأنَّ الوسط ليس مرحلة مرضية. هذا على مستوى الداخل، أما الخارج فسيكون الانتقاد السلبي والهجوم مستمريْن مدى الحياة، مع تحميل العائلة تبعات هذا الموضوع لوقت طويل.

والمنفذ لفهم شخصية كارمن –التي تعني باللاتينية الأغنية الجميلة–، وقراءة مواقفها داخل الإطار السطحي للتمرد والإغواء المجردَيْن، دون استحضار الخلفية التي أتت منها، كونها غجرية تنتمي إلى الهامش والمرفوض والمنبوذ، هو ظلم بيِّن؛ لأنها في محل الدفاع الدائم عن النفس، حتى داخل جماعتها، وهذا أقرب إلى المشكلة الوجودية المؤرقة، ولا فكاك منها.

وتستعيض كارمن عن السلطتين الاجتماعية والاقتصادية اللتين لا تمتلكهما، بسلطتي الإغراء والغواية اللتين تشعرانها بالقوة، وهي آلية مستخدمة للهيمنة والبقاء، وحين تصرح بأنها "لا تخضع لأحد" فهي تعبر عن الهروب من القيد، حتى وإن كان قيداً تحبّه. لذلك كان تقرُّب خوسيه منها ورغبته في امتلاكها بمثابة وسيلة خنق سريعة، خصوصاً لضابط عسكري اعتاد النظام وألِفه، حتى وإن تخلى عنه مرة. في المقابل، هو يمثل في ذهنيتها السلطة الأبوية التي يقابلها رمزياً: التحكم، ويمكن لهذا أن يكون عبر المجتمع/الدولة/ الأب حسب مفهوم فرويد. أما الحرية بالنسبة لها، فكانت غاية في صراعها الداخلي غير المسموع، وهي تعبِّر عن حاجتها للحرية، وقلقها من التحكم، يجعلها شخصية قابلة للتأويل علي أصعد عدة، وهذا ما يشهده المتلقّي في تخلّيها عن خوسيه، المجند العاشق، وارتباطها/ زواجها بخارج عن القانون، من الصعب المقارنة بينهما، حتى في طريقة الحب والتعبير عنه، بين لطف الأول وعنف الثاني، وهذا الموقف تحديداً يجعل من هويتها مفتاحاً لفهم نفسيتها/ دوافعها/ وعلاقتها بالآخرين، بالأخص الذين أحبوها.

ويذكر أن معالجات كارمن لم تقتصر على الشكل المسرحي الذي كان أبرزه –عربياً– عرض الفنان محمد صبحي في نهاية التسعينات مع الفنانة سيمون، مع إدخال بعض التعديلات في الأحداث بما يتناسب وطول العرض. وفي حين أن هذه القصة قد استغلت في السينما العالمية، وأشهرها تلك النسخة التي قدمت بممثلين سود (carmen jones) في العام 1954م، وهي نسخة مميزة في موسيقاها وفي لون البشرة الذي عُدَّ شكلاً من أشكال الثورية والتمرد؛ لكنها لم تستغل عربياً، ولم توجد نسخة عربية سينمائية "صريحة"، وإن وُجدت بعض الثيمات المقتبسة عنها، وهذا أيضاً يدفع للسؤال: ماذا لو قُدمت كارمن –عربياً– ولو بوصفها الغجرية الإسبانية؟ كيف سيُقرأ تمرُّدها في ضوء التقاليد الصارمة التي نعرف؟ وهي هذا نقيض لمزاج الجمهور، أو سيأتي على هواه، وما لا يستطيع رؤيته في الواقع يمكن أن يراه على الخشبة. هل ستُعاقب وتُحاكم – بعيداً عن المنظومة الدينية – بالعُرف عند العرب؟ وكيف سيؤول مصيرها إن هي تعلقت برجل دولة مثلاً؟ هل نعمل على وأد كارمن، أم نؤمن بحريتها وبيئتها المجبولة على ذلك، أم نشجع على خطوط إنتاج جديدة من كارمن، ونرجع لنقطة البدء من جديد؟ وماذا لو كان الطرفان مجرَّديْن من الانتماءات الضيقة المتعلقة بالمجتمع وتوابعه الفئوية؟

إن مشاهدة عرض كلاسيكي "حي" مثل كارمن، قادر على فتح باب التأويل وقابليته على التطبيق المباشر في كل مرة، بالإضافة إلى إحياء التراث الثقافي، ونقل قيم، أو نقدها عبر تسليط الضوء على قضايا معاصرة، من خلال تقديم العمل بأساليب حديثة ومبتكرة، كما فعل ناصر عبدالمنعم هنا؛ في تفعيل العنصر البشري –الأهم– لديه، والاعتماد على العناصر الشبابية التي يراهن عليها، مستخدماً اللغة العربية من منطلق مسؤوليته كمخرج؛ لإحيائها وألفة سماعها عند جمهور العامة، والاحتفاظ أيضاً بالقيم التي استقاها من المصدر، ومناقشتها بالعرض؛ مثل التعرض لفئة الغجر المهمشة، وصراع الواجب والعاطفة، بالإضافة إلى مناقشة مفهوم الحرية المطلقة، بمعاونة العناصر المسرحية المساعدة التي خلقت الأجواء المطلوبة كما يجب. هذا الفهم السخي لكارمن يدعو –بشغف– لانتظار العرض القادم المعلن عنه من قبل المخرج "أماديوس" للكاتب الإنجليزي بيتر شافر، من حيث تعرُّضه لقضية مهمة جداً لم تأخذ حقها في التنفيذ والانتشار عربياً.

يبقى الحنين كما كان من قبل

غابرييل غارسيا ماركيز

إنّه نصرٌ عالميٌ للشعرفي قرنٍ، حيث المنتصرون فيه هم دائماً من يحصلون على أصوات انتخابية أكثر، وهم الذين يحرزون أكثر الأهداف، وهم الرجال الأكثر غنىً، وهنّ النسوة الأكثر جمالاً .
حقاً كان مشجعاً ذلك الهيجان الذي أحدثه في العالم قاطبة موت رجل لم يكن يفعل شيئاً سوى أن يغني للعالم عن الحب، هذا هو تأليه الذين لا يربحون أبداً.

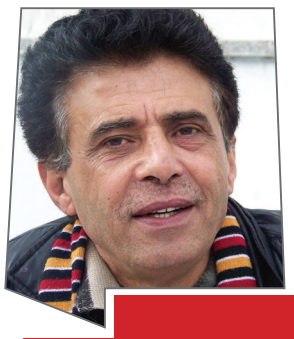

الترجمة عن الإسبانية:
أحمد يعقوب *

كنا ثلاثة أجيال، جيلنا، وجيل أبنائنا، وجيل أكبر أحفادنا، وخلال ثماني وأربعين ساعة لم يتم التحدث عن شيء آخر وللمرة الأولى كان لدينا الانطباع بأننا ما زلنا نحيا كارثة شاملة ولذات الأسباب ، سأل معلقو التلفزيون سيدةً ذات ثمانين سنة في الشارع عن الأغنية الأكثر إعجاباً لها من أغاني (جون لينون) أجابت وكأن عمرها خمس عشرة سنة :"السعادة هي مثل مسدس حار"، أحد الأطفال ممن كانوا يشاهدون البرنامج قال: «بالنسبة لي لا تعجبني أغانيه» أما طفلي الصغير فقد سأل طفلةً لها ذات عمره: لماذا قتلوه (جون لينون)؟ أجابته وكأنها بنت ثمانين سنة:»لأن نهاية العالم ابتدأت».
هكذا إذاً: فالحنين الوحيد والشاسع الذي يجده أحدنا مه أطفاله هو أغاني فرقة (البيتلز)، كل حسب دوافع مختلفة وفيما بعد بأحزانٍ مختلفة كما يحدث دائماً بالنسبة للشعْر.
في المكسيك لن أنسى إطلاقاً ذاك اليوم الجدير بالذكرى من عام 1963 عندما سمعت للمرة الأولى وبطريقة دعائية إحدى أغاني (البيتلز) ومنذئذٍ اكتشفت أن العالم كان ملوثاً من قبلهم.
في بيتنا الكائن في (سان أنخل) حيث من الصعب كان أن نجلس، كانت هناك اسطوانه لمجموعة (البيتلز) وعبر كل المدينة وطيلة كل الساعات كان يُسمع صراخ الحشود من البشر تقول: (النجدة: احتاج لشخص ما :HELP I NEED SOME BODY))، في هذه الحقبة عاد البعض ليطرح الموضوع القديم إن الموسيقيين الجيدين هم من الترتيب الثاني في الكاتلوك: (باخ، بيتهوفن، برامس، وبارتوك). وعاد البعض ليقول ذات السخافة الدائمة بأن يتضمن ذلك (موزارت). أما (الفرو موتيس) وكأي علّامة في الموسيقى لديه ضعف عضال في الأسس السيمفونية، فكان يشدد على أدراج (بروكنير).
أحدهم حاول إعادة المعركة نفسها لصالح (بيروليتز) هذه المعركة التي خضتها معاكساً لأنني لم أستطع ترقية الخرافة التي هي (طائر الشقاء OSEAU DE MAL HEUR) في المقابل ومنذ ذلك الحين أصررت على إدراج (البيتلز)
(اميليو غارسيّا رييرا) الذي كان يوافقني الرأي وهو ناقد ومؤرخ سينمائي وبسطوع غير طبيعي أحياناً، وبعد الكأس الثاني بقليل قال لي في تلك الأيام: „استمع للبيتلز بخوف معين، لأنني أشعر بأنني سوف أذكرهم طيلة ما تبقى لي من الحياة".
هذه هي الحالة الوحيدة التي أعرفها عن واحدٍ ذي بصيرة ثاقبة آخذاً بالحسبان أنه كان يعيش ولادة حقيقية، حينها دخل أحدهم إلى الاستوديو (كارلوس فوينتس) ووجده يكتب بالآلة الكاتبة بإصبع واحد ويد واحدة كما كان يفعل دائماً وسط غيمة كثيفة من الدخان معتزلاً عن رعب العالم عبر موسيقى (البيتلز) الصاخبة . ظننا حينها، كما يحدث دائماً، أننا بعيدين جداً عن أن نكون سعداء والآن نفكر تفكيراً معاكساً .
إنها مصيدة الحنين التي تنتزع اللحظات المرة من المكان وتلونها بلون آخر وتعيد وضعها، بحيث لا تحدث ألماً بعد مثل الصور القديمة التي تبدو مضيئة ببريق السعادة الخادع حيث يمكننا فقط وبدهشة مشاهدة كيف كنا شباب وليس فقط نحن الذين كنا هناك بل البيت أيضاً والأشجار الخلفية وحتى الكراسي التي كنا جالسين عليها (تشي غيفارا) متحدثاً مع رجاله حول نار الليالي الخالية من الحرب، قال مرة إنّ „الحنين يبدأ من الأكل" إنه أكيد. لكن في حالة الجوع فقط، بينما في المقابل يبدأ الحنين دائماً من الموسيقى.
في الحقيقة لقد ابتعد ماضينا الشخصي عنا منذ ولادتنا، لكننا نشعر به ينتهي بانتهاء الاسطوانة.
هذا المساء مفكراً بكل هذا إزاء نافذة كئيبة حيث يهطل الثلج ولدي أكثر من خمسين سنة من العمر، ورغم ذلك لا أعرف جيداً من أنا ولا حتى أي هراء أفعل هنا.
عندي الانطباع بأن العالم كان بلا معنى منذ ولادتي حتى بدأ (البيتلز) بالغناء وعندئذٍ كل شيء تغيّر.
أطلق الرجال العنانا لشعرهم ليطول وكذلك اللحى، النساء تعلمن التعرية بدون تكلف. لقد تغييرت طريقة ارتداء الثياب وكذلك الحب، ابتدأ التحرر الجنسي وكذلك حبوباً أخرى تصلح للأحلام .
كانت الأعوام المدوية عن حرب فيتنام وعن التمرد العالمي لكن فوق كل شيء كان الفهم القاسي لعلاقة شاسعة بين الآباء والأبناء، كانت بداية حوار جديد بينهم وهو ما كان يبدو مستحيلاً طيلة قرون.
رمز كل ذلك – في مقدمة البيتلز – كان (جون لينون) الذي ترك بموته عالماً مختلفاً مأهولاً بالتخيلات الرائعة .
في (لوسي في السماء LUCY IN THE SKY) إحدى أغانيه الأكثر جمالاً يترك حصاناً من ورق الصحف بربطة عنق مصنوعة من المرآة، وفي (اليانور ريغبي ELEANOR RIGBY) بصوتٍ منخفض وعنيد لآلة (التشيلو) المفرطة الزخرفة – تبقى فتاة مُدمّرة تلتقط الأرز من فناء كنيسة بعدما انتهت إقامة حفلة زواج ..... „ من أين يأتي المعتزلة" تتساءل لكن لا جواب ....
يبقى الأب (ماكنسي) يكتب خطبة دينية حيث لا أحد يريد سماعها، يغسل يديه فوق القبور .. وفتاة تنزع معالم وجهها قبل الدخول إلى بيته وتتركها في وعاء على الباب لتضعه ثانية عندما ترغب بالخروج.
هذه المخلوقات اجترحت القول إنّ (جون لينون) كان سريالياً، هو ما يقال بسهولة فائقة عن كل ما يبدو نادراً كما يحلو لهم القول بسهولة فائقة عن كل ما يبدو نادراً كما يحلو لهم القول عن (كافكا) اولئك الذين لم يعرفوا قرائته، أما بالنسبة للبعض الآخر فإنه مدعيّ الوحي لعالم أفضل.
إنّهم البعض الذي جعلنا ندرك أن الشائخين ليسوا نحن – أصحاب السنين الكثيرة – إنما أولئك من لم يصعدوا وفي الوقت المناسب إلى قطار أبنائهم .

* أديب ومترجم فلسطيني
توفي في رام الله عام ٢٠٢١

قصة قصيرة

النظافة الحقيقيـة

أحمد المؤذن

جاء النادل وشرع ينظف الطاولة بالرغـم من أنها سطحها الرخامي يلمع في ضوء القهوة، فقال له وهو يطوي صحيفته..

– يكفيك تنظيف خلاص.
– نستقبلك سيدي فأنت أفضل زبائننا.
– الطاولة نظيفة يا غبيّ . إن كنت مهتم بالنظافة الحقيقية، أخرج إلى الشارع.
– وماذا أفعل هل أنوب عن الزبال مثلا؟
– لا يا مسكين، لكن تقدر تصرخ وسط الشارع .. البلد تحتاج نظافة حقيقية؟! ماذا تدون عندك يا وجه الغراب؟
– أسجل طلبك، أنت لا تطلب سوى الشاي بالحليب كالعادة.

هز رأسه ثم غـرق في قراءة الجريدة، ألتقى ببعض أصدقائه فضحك وثرثر ومازح هذا وعـاتب ذاك حتى أصبحت طاولته هي الأخيرة. دفع فاتورتـه وقبل أن يعتب باب القهوة انتصبت أمامه قامتان وحشرته في سيارة وأنطلقتا به ..

لحظات حتى أزيلت تلك العصابة التي تحجب نظره، لكن لماذا لا يرى غير سطوة الظلمة ثم بلكمـة قوية تنقض عليه وتبعتها الثانية والثالثة و.. ما عاد قادرًا على العـد بعد الإنهاك والتعب وملح دمـه في فمـه وقلبه يركض خائفًا فجاءه صوتٌ يفح كالأفعى في سمعـه من جوف الظلمـة..

– نورنا يا حضرة المثقف .. ما هو مفهومك للنظافة الحقيقيـة التي تحتاجها البلد؟!

زياد الرحباني عبقري الموسيقى وصوت المهمشين

زياد الرحباني، فنان لبناني شامل، ولد في بيروت عام 1956، وهو ابن السيدة فيروز والموسيقار عاصي الرحباني، الذي شكل مع شقيقه منصور علامة فارقة في تاريخ الموسيقى والمسرح العربيين. منذ ولادته، نشأ زياد في بيئة فنية محاطة بالموسيقى والكلمة، مما جعله ينغمس في عالم الإبداع مبكراً. بدأت ملامح موهبته تتجلى في سن مبكرة، فبدأ يعزف على البيانو ويرافق والدته في بعض الأعمال الموسيقية، لكنه سرعان ما انفصل بأسلوبه عن نمط الرحابنة الكلاسيكي، ليشق لنفسه خطاً خاصاً يجمع بين التمرد السياسي والنقد الاجتماعي واللغة المحكية التي تقرب الجمهور من العمل الفني.

أول ظهور علني لزياد كمؤلف موسيقي كان في عمر الـ17، حين لحن أغنية «سألوني الناس» التي غنتها فيروز عام 1973، في غياب عاصي عن العمل إثر أزمة صحية. هذا العمل شكل منعطفاً في مسيرة زياد، إذ أثبت قدرته على تقديم ألحان متكاملة النضج والعمق. انطلق زياد من ثم ليؤسس مسرحه المختلف، من خلال أعماله المسرحية التي لاقت رواجاً كبيراً في لبنان والعالم العربي. من أبرز هذه الأعمال: «بالنسبة لبكرا شو؟» و»فيلم أميركي طويل» و»نزل السرور» و»شي فاشل» و»لولا فسحة الأمل».

في هذه المسرحيات دمج بين السياسة والسخرية واللغة الشعبية والموسيقى الحية. سياسياً، اتخذ زياد مواقف واضحة وصريحة، وكان ناقداً للسلطة والطبقة السياسية اللبنانية، وعبر عن ذلك في مسرحياته ومقالاته وحتى في مقابلاته الصحافية. مال في فترة من حياته نحو الفكر اليساري، وعبر عن انحيازه للفقراء والمهمشين، مما جعله قريباً من الجمهور الواسع.

إلى جانب المسرح، قدم زياد أسطوانات موسيقية رائدة مزج فيها بين الجاز والموسيقى الشرقية والكلمة الساخرة. كتب ولحن أغاني لفيروز مثل «عودك رنان» و»كيفك إنت» و»شو بخاف»، وتميزت هذه الأعمال بحس تجريبي مغاير ومعاصر. وتمكن من أن يؤسس مع فيروز مدرسة غنائية جديدة تختلف عن المدرسة السابقة التي رسخها عاصي ومنصور مع فيروز. زياد الرحباني معروف بمهارته في التوزيع الموسيقي، واستخدامه آلات غير تقليدية في تقديم الموسيقى العربية المعاصرة، منها الساكسوفون والغيتار الكهربائي والكيبورد.

عرف زياد أيضاً ككاتب وصحافي، ونشر مقالات سياسية واجتماعية في الصحف اللبنانية، تميزت بنفس نقدي لاذع، ولغة هجينة تجمع الفصحى بالعامية، وقدم برامج إذاعية كانت منبراً إضافياً لصوته المختلف. حياته الشخصية كانت أيضاً مادة للجدل، بسبب مواقفه الجريئة، وخياراته الحياتية غير التقليدية، التي جعلته في صدام دائم مع التيارات المحافظة. وعلى رغم ذلك بقي فنه محل إجماع لدى معظم الأطياف السياسية والاجتماعية في لبنان. خاض زياد أيضاً تجارب في التمثيل، وشارك في عدد من الأفلام القصيرة والتسجيلات المصورة، مما أضاف بعداً آخر لحضوره الفني. وتعاون مع عدد من الفنانين اللبنانيين مثل جوزيف صقر الذي ارتبط اسمه بكثير من أغاني زياد.

زياد الرحباني ليس مجرد فنان، بل ظاهرة ثقافية عربية فريدة. استطاع أن يعبر عن هموم جيله، وأن يمنح الصوت للمهمشين، عبر فن صادق وذكي وجريء. وإلى اليوم لا تزال أعماله تعرض وتستعاد، وتلهم أجيالاً جديدة من الفنانين والمبدعين في لبنان وخارجه

«القطّة التي أنقذت الكتب».. وأسَرَت القرّاء!

د.بروين حبيب

الصدفة فقط جمعتني بهذه الرواية، أردت أن أشتري مجموعة كتب لابنة أختي – في زمن انصرف فيه الأطفال عن القراءة.. والكبار أيضا – فجذبني العنوان «القطة التي أنقذت الكتب» ولكني حين شرعت في تصفح هذه الرواية لم أستطع الفرار من أسرها، وحين أنهيتها بحثت عن معلومات عنها في الأنترنت فكانت صدمتي مضاعفة، فهذه الرواية التي حسبتها للأطفال رغم عمر صدورها القصير (صدرت باليابانية ٢٠١٧، بالإنجليزية ٢٠٢١، وبالعربية ٢٠٢٤) باعت ملايين النسخ وترجمت إلى أربعين لغة، ولكن في الحين نفسه لم أجد عنها سوى مقال يتيم باللغة العربية. في الوقت الذي يمكن أن تصنف مع تلك الروايات المراوغة التي تبدو بسيطة لكنها عميقة، تحسب على الأطفال لكنها شديدة التأثير في الكبار، فتحجز لها مكانا مع الأمير الصغير وعالم صوفي وشجرتي شجرة البرتقال الرائعة، تلك الروائع الخالدة التي ما زالت تلهم قارئيها.

أول ما لفتني في الرواية أن كاتبها ياباني، وكأن السيطرة على الفن الروائي أصبحت تناوبية، فبعد السيطرة الأوروبية الغربية جاء دور الأمريكيين ثم الأدب الروسي بعمالقته وبعدها سلّم الراية للرواية اللاتينية برموزها الكبار أمثال ماركيز وبورخيس ويوسا، ليصل الدور إلى الأدب الآسيوي وما خبرُ الكورية الجنوبية هان كانغ الفائزة بجائزة نوبل للأدب السنة الماضية عنا ببعيد. والترجمات الحديثة للأدب الياباني إلى العربية على قلّتها عرفتنا بروائيين كبار مثل كنزابورو أوي (نوبل 1994) وكازوو إيشيغورو (نوبل 2017) وصاحب كافكا على الشاطئ هاروكي موراكامي، والطريف أن هذا الطبيب الموهوب سوزوكي ناتشوكاوا كاتب «القطة التي أنقذت الكتب» استعمل اسما مستعارا قال عنه بأنه «جمع فيه أسماء من يحبهم من الأدباء والشخصيات الروائية «سو» بمعنى عشب من اسم رواية وسادة عشب، و»زوكي» من اسم ريونوزوكي أكوتاغاوا، و»ناتشو» من اسم سوسيكي ناتشوميه، و»كاوا» من اسم ياسوناري كاواباتا. كما جاء في طيّ غلاف الرواية الأخيرة.

أما الأمر الثاني الذي أسرني في الرواية أنها ظاهريا تحكي عن الكتب، هذه الكائنات الجميلة التي صرنا نخشى جديا من انقراضها، في زمن فككت فيه وسائل التواصل الاجتماعي كل الروابط التقليدية وأصبحت الحاكم بأمرها. فالرواية قصيد مديح طويل في الكتب، ولكنها تقرع جرس الإنذار كل حين خوفا على الكتب وأحيانا خوفا منها، تبدو الرواية في ظاهرها بسيطة، فبطلها «رينتارو ناتسوكي ليس أكثر من طالب ثانوي، قصير القامة يضع نظارات طبية سميكة، أبيض البشرة، صموت، لياقته البدنية ضعيفة، طالب ثانوي عادي لا يتفوق في مادة ما بشكل خاص، وليست له رياضة مفضلة» كما جاء في وصفه، توفي جده وكان يعيش معه وحده، هذا الجد الذي كان يوما ما أستاذا جامعيا لكنه افتتح مكتبة في طرف المدينة عبارة عن «ممر طويل ورفيع يمتد مستقيما من الباب حتى العمق، وعلى الجانبين

أقيمت رفوف تطل عليه وهي مكتظة بالكتب من الأرض حتى السقف. وفوق الرأس علقت مصابيح قديمة الطراز» تخصصت هذه المكتبة في الكتب الكلاسيكية والنادرة والتي لم يُعَدْ طبعها، ولأن الشاب لا وصيّ عليه وهو في هذه السن الصغيرة، قررت عمته التي لم يرها في حياته أن تأخذه للعيش عندها بعد تصفية «مكتبة ناتسوكي»، إلى هنا تبدو القصة عادية تصور يوميات شاب انطوائي، لولا أن قطا عتابيا (مخطط الظهر) ظهر لرينتارو في المكتبة وبدأت من لحظتها معه الواقعية السحرية على الطريقة اليابانية، فهذا القط الذي يدعى «تورا» يتكلم مثل البشر وقد طلب من الشاب وريث صاحب المكتبة أن يرافقه في مهمة لإنقاذ الكتب. وعلى امتداد مئتين وستين صفحة يترافق رينتارو مع القط الظريف حينا والفظ حينا آخر وتصحبهما صديقة رينتارو «سايو» لدخول أربع متاهات: واحدة لملاقاة سجان الكتب وأخرى لرؤية ممزق الكتب وثالثة لإقناع بائع الكتب، ورابعة لا أفسد على القارئ متعة اكتشافها.

بهذه الحبكة البسيطة وبأسلوب آسر مبني على عناصر سحرية كجدار المكتبة الذي ينفتح على آفاق لا متناهية أو الكتب التي تتحول إلى طيور، مع حضور لافت لولع الإنسان الياباني بالطبيعة، فهناك «أشجار وافرة تحت أشعة شمس باهرة ونوافير بيضاء ترتفع مياهها رقراقة نحو السماء هنا وهناك، إلى جانب النوافير تماثيل ملائكة، وثمة توازن جمالي رائع بين السور الشجري المُقلم بعناية وبين الأرضية المبلطة بأحجار ذات تصاميم هندسية بديعة» في هذا الإطار الجمالي يمرر سوزوكي ناتشوكاوا رسائل عميقة ومتعددة يناقش فيها قضايا كبرى متعلقة بالكتاب وبالقارئ وبفعل القراءة نفسه، ففي متاهة «سجان الكتب» يقدم لنا نموذج الشخص المتباهي بقراءة الكتب الكثيرة (في حالته قرأ 75622 كتابا) ولكنه يحبس الكتب التي قرأها في رفوف مقفلة بسلاسل، غير أنّ الشاب البسيط يخبره بالحقيقة التي فاتت جامع الكتب هذا بأن «هذه ليست رفوفا لوضع الكتب المهمة، بل مجرد واجهة عرض من أجل التفاخر بالكتب التي تقتنيها.. فالتحف الثمينة حاوية الكنوز، والأعمال الضخمة حاوية الملاحم العظيمة، إن لم تفتح وتقرأ فهي في النهاية قصاصات ورق لا أكثر» في إدانة ضمنية للمتفاخرين بمكتباتهم الكبيرة ذات المجلدات الفاخرة والتي في حقيقتها ليست سوى أقفاص تحبس طيور الأفكار. فالمكتبة الشخصية ليست مكتبة عامة نجد فيها مختلف الفنون والعلوم، بل المفترض أن تكون صورة عن صاحبها

تعكس اهتماماته وقراءاته ونعرفه من خلالها.

يناقش الروائي بطريقة غير مباشرة وعبر حوارات مكتوبة بحرفية في متاهة «ممزق الكتب» قضية أصبحت راهنة ورائجة جدًا الآن، وهي بدعة ملخصات الكتب، فممزق الكتب الذي يقص الكتاب ليبقي منه فكرة أساسية تختصره لم يكن ضد الكتاب، بل كان محبا للقراءة أخطأ الوسيلة حين اعتقد أن قراءة الملخصات تجعلنا نقرأ عددا كبيرا من الكتب، ولكن الحقيقة يقررها الروائي على لسان أحد أبطاله حين يقول «من يقولون إنهم يحبون نيتشه في هذا العالم كثيرون، ولكن الذين يقولون ذلك وقد قرأوا أعماله حقا هم قليلون جدا. يقرأون فقط ملخصات لا تَذكُر إلا بعض الأقوال المأثورة التي نزع منها الجوهر، ثم يتظاهرون بمعرفة نيتشه كأنهم يرتدون معطفا على أحدث واردات الموضة». فالملخص مثل المقبلات يفتح شهيتك للكتاب ولا يغني عنه، وما شاع الآن من منصات تقدم عصارة الكتب مسموعة فكرة محمودة شرط أن لا تدفع القارئ للكسل فيكتفي بها، لأن قراءة الكتب بتوصيف الرواية تشبه تسلق الجبال حيث تتفتح آفاق القارئ، مثلما ينفتح المنظر أمامك فجأة بعد الانتهاء من صعود طريق جبلي طويل، لذلك يقدم لنا ناتشوكاوا هذه النصيحة الثمينة على لسان بطله «طالما ستصعد في النهاية اختر الجبال العالية لترى مناظر خلابة نادرة»، فحين نجد صعوبة في القراءة معنى ذلك أننا نتعلم شيئا جديدا «اللقاء بكتاب صعب حظ كبير».

متاهة أخرى عنونها الروائي ب»بائع الكتب» وهو شخص يحب الكتب ويحب نشرها لكنه يرى أن ذلك لا يتحقق إلا باتباع قاعدة واحدة تجعل رواج الكتب في غاية السهولة: «أن تبيع الكتب التي تباع» أي اتباعا لفكرة «الجمهور عاوز كده»، فناشر الكتب هذا يرى أن «المكتبات ليست مؤسسات خيرية، ولن تستمر طالما لا تباع الكتب، ولذا تختفي بالتدريج الكتب التي لا تباع.. وأي تحفة أدبية ستختفي ما لم تحقق مبيعات جيدة»، وهي فكرة صحيحة إذا كان الغرض من بيع الكتب الربح التجاري فقط، ولكن الكتاب سلعة نبيلة ونخبوية أحيانا كثيرة إذا طبقنا عليها قواعد العرض والطلب نفقد كثيرا من الروائع، وتنقرض تحف أدبية وكلاسيكية فقط لأن القارئ الآن انصرف عنها. وهذا ما يربطنا بالمتاهة الرابعة التي تعني البطل الانطوائي رينتارو نفسه، إذ يدرك بعد مغامراته مع القط العتابي وصديقته أن انعزاله في مكتبة جده متخذا منها برجا عاجيا ليست الخيار الأمثل ف»القراءة شيء جيد لكن ينبغي أن تخرج وتسير على قدميك بعد القراءة» مما يذكرنا بفكرة المثقف العضوي عند غرامشي، وقد أقر رينتارو ناتسوكي بطل الرواية بهذه البديهية حين قرر العودة إلى دراسته مع الإبقاء على مكتبة جده مفتوحة فقال: «الحقيقة هي أن الكتب أنقذتني مرات عديدة، أنا سلبي بطبيعتي أيأس بسرعة من كل شيء، بيد أن وقوف الكتب إلى جانبي في جميع الأوقات أوصلني إلى ما أنا عليه الآن». فلعل «القطة التي أنقذت الكتب» تنقذ بعض قرائها الشباب من سجن السوشيال ميديا وتعيدهم إلى صحبة هذا الكائن الجميل «الكتاب».

الأمم النابهة والأمم الخاملة

د. حسن مدن

ليست «جهينة» وحدها من لديها الخبر اليقين، هناك حكاية قد تكون مشابهة في الدلالة لحكاية «جهينة»، وإن اختلفت في التفاصيل، و»الخبر اليقين» اليوم سيكون عند «حذام» وهو ليس اسم قبيلة كاسم جهينة، وانما اسم امرأة، مصدره حكاية، تكاد تشبه حكاية زرقاء اليمامة التي حذرت قومها من جيوش زاحفة على أراضيهم، بسبب قوّة بصرها، لكن القوم سخروا منها ولم يصدقوا الحكاية حتى بلغهم الغزاة، لكن الفارق هنا هو أن أهل «حذام» كانوا يصدقون ما تقول ويأخذونه على محمل الجد.

يقال إنّ حذام بنت الريّان، وهي زوجة رجل يدعى لجيم بن صعب، امرأة شديدة الذكاء، واسعة الحيلة، تصيب الرأي إن قالت، وتظنّ الأمر فيأتي كما توقعت، وكان زوجها لجيم يثق في حدسها وقوّة إدراكها، ويحكى أنّه وقعت فتنة بين رجل يدعى عاطس بن الحلاج بن الحميري وقوم حذام، فسار إليهم في جموع كثيرة العدد، واقتتلوا، ففرّ قومها هاربين ورجع الحميري إلى معسكره، فسار قوم حذام ليلتهم ويومهم إلى الغد، واستقرّوا في الليلة الثانية .

فلما أصبح الحميري ورأى آثارهم، اتبعهم، فانتبه القطا من وقع دوابهم، والقطا، كما هو معروف، نوع من الطيور مرّت على قوم حذام قِطَعاً قطعاً، والفطنون من الناس يعرفون أنه يمكن استنباط الأخبار من تصرفات الحيوان، فخرجت حذام إلى قومها فقالت: "ألا يا قَومَنا ارتَحِلُوا وسيرُوا، فَلو تُرِكَ القَطَا لَيلاً لَنَامَا"، فقال زوجها الشاعر لجيم بن صعب: "إذَا قَالَتْ حَذَام فَصَدِّقُوهَا، فإنَّ القَولَ مَا قَالَتْ حَذَام"، فارتحلوا حتى اعتصموا بالجَبل، ويئس منهم أصحاب عاطس فرجعوا من حيث جاؤوا، وهكذا نجا قومها من شرعاطس وجماعته، بسبب ذكائها، وفطنتها، وممن تناص مع هذا القول كان أبو العلاء المعري الذي قال: (إذا ما جاءَني رَجُلٌ حُذامٌ/ فَإنَّ القَولَ ما قالَت حَذام).

بعض شرّاح الحكاية وما أكثرهم وتعدد أهوائهم، رأوا أنّ العبرة منها هو الاستماع إلى أهل الفطنة والحكمة، ومن يرون أبعد مما يراه بقية القوم، خاصة إذا حذّروا من أهوال أو مصاعب قادمة، ولسنا هنا نعني متوقعي الارصاد الجوية، الذين وإن صحّت توقعاتهم حيناً، فما أكثر ما تخطىء، رغم أن أدوات العلم ووسائل قياسه باتت لهم معيناً يرشدهم إلى ما يشهده الطقس من تقلبات، وإنما نعني أولئك الذين لا يرجمون بالغيب، وإنما يجيدون تشخيص الأوضاع القائمة، وعدم الاكتفاء بتتبع مقدّماتها وخلفياتها، وإنما رسم سيناريوهات محتملة لما قد ينحم عنها في المستقبل، بما فيها أكثر السيناريوهات سوءاً، وهذا ما تفعله الأمم النابهة، وتهرب منه الأمم الخاملة.

يقال إنّ حذام بنت الريّان،

سـرٌّ مـا والأبجـديـة

إلى الشاعرِ والأديبِ: يوسف حسن

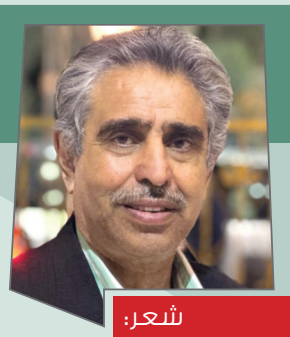

شعر:
علي الستراوي

الظلُّ الذي ظلَّ يحمينا
من وهجِ الظهيرةِ
واقفٌ..

أنتَ وسرُّ النخلِ في الحكاياتِ
كأنَّكَ البيتُ
الذي لا يستوحشُهُ المحبونَ
ولا يغادرُهُ الأخلاءُ

أبا «وديع»..
يا شيخَنا في الشعرِ
ويا نهارًا لا تغادرُهُ نوارسُ الحياةِ
تتأملُ البعيدَ
وتدنو كالطائرِ الأليفِ
العائدِ من النسيانِ
فوقَ أعرافِ نخلنا تعلو
ترمي ببُسرٍ وتمرٍ
يطفئُ جوعَنا الغريبَ.

مثلُكَ..
كمثلِ حكايةِ «جلجامشَ»
تسندُ بجسدِكَ ظهرَنا المحدبَ
وتعيدُ فينا نبتةَ الحياةِ
تعبرُ بنا مسافاتِ
تسيخُ في الوحلِ
تعيدُنا من ألمٍ
دون لوعةٍ وحيرةٍ.

من يعرفُكَ يستأنسُ بكَ
هلالُ السماءِ موعودٌ بالرؤى
من يعرفُكَ ينتمي للضوءِ
فتأتي مسرعًا
مترجلًا عن دابتِكَ
تحتضنُ أصغرَنا بشوقٍ
تسرُّحُ للغةِ شعرَها
وتقبرُ «القبرَ» في النسيانِ

تخاصرُ الوردَ..
بحنانٍ واسعٍ يطرحُ شذاكَ.

أخشى عليكَ أيها الشجنُ
المدفونُ في الصدرِ
بركانَ سرٍّ ما
حينما اجتازت منعطفَها
وأنتَ في الثبورِ من يومِكَ
تقودُ العيسَ
وتهدهدُ الرمالَ بالعاصفةِ.

دعِ الرَّكبَ
واختصرِ الوقتَ
سرُّ «ما» مكتظةٌ بالحكاياتِ
قد دُفنتْ بالحياءِ
وبينَ ورقةٍ بيضاءَ
اختلطَ المدادُ بالسَّبَخِ
بلثغةِ الشبقِ
وبالسكونِ الذي يرفضُ
السكوتَ في الجراحِ.

انتفضْ
واستعدْ صباكَ
قبل أن ترميَكَ الأسئلةُ في الريحِ
ويرميَكَ النهارُ في أتونِ القهرِ.

الوقتُ..
حزامُ الخصامِ
والعقلُ وعاءٌ للشدةِ
اتركْ خطواتكَ للرملِ
فالريبُ عدوٌّ للرشدِ
والرشدُ نسيمٌ طيبٌ في الغفلةِ
وأنتَ الرشيدُ.

دوائرُ لا نعرفُ في سرعتِها
شِباكَ خائبةَ الصيدِ
باطنُها للأسفلِ من الضيقِ
وأنتَ الصديقُ
وصفوةُ القلمِ الرشيدِ
تخرجُ من أحشاءِ النارِ
ومن الجمرِ حكايةً
فنسيخُ في تربتِكَ
وينتفضُ الألمُ في القلبِ ليحكي
فتدخلُ الريحُ في لعبةِ الشكِ
وفي حلزونِ الأبجديةِ
تنتقي خمارَها يا أبا وديعٍ
ترمي بسُمِّها في الحياةِ.

أبي.. يا زلالَ الماءِ
أخي في مدارٍ لا يغيبُ
كياءِ السفينِ التي تبحرُ في الضلوعِ
لا تنظرْ لتعبِ السنينِ العجافِ
أرى في ما تراهُ!
سيدَ الحلمِ يعبرُ بنا بعيدًا
عن حومةِ الاكتظاظِ
تداعبُ فينا الوقتَ
دون النظرِ للضجيجِ.

أراكَ قمرًا مضيئًا
لا يتَّشحُ بالسوادِ
وعندَ الأزرقِ المتطاولِ
يسألُ «اليامالَ»
مائلٌ قد رمتهُ
سحابةُ الجفافِ بالجوعِ.

وفي «الضادِ»
أصبحتَ سيدَ العارفينَ
واقفًا في عيونِ السماءِ
تراقبُ النجومَ
وتستعيدُ تاريخَنا
في عباءةِ المتغيراتِ.

لعبةٌ أدخلتنا في الشكِّ
في المخاضِ من لعبةِ الزمنِ الكسيرِ!
وأنتَ المدادُ عاصفٌ
دونَ قصبٍ وقرطاسٍ
يندسُّ في الكفنِ المُغيَّبِ في الصبرِ
ونحنُ على سُلَّمِكَ
لا نعرفُ الانهزامَ
أولُنا يمضغُ السكونَ بالعلقمِ
وآخرُنا يمضغُ السكونَ بالسكرِ
لأنكَ فيها تحتسي قهوتَها في ثراءِ
لثغةٍ لا تغيبُ.

نتدلى على قمركَ دونَ خوفٍ
تزرعُ الوفاءَ في أجسادِنا
فنرتدي «جبَّ» يوسفَ
وفي دائرةٍ لم تكتملْ
نزغردُ للعروسِ المحناةِ بالمحنةِ
فتقولُ لنا:
اخلعوا مساميرَكم من جسدِ الوهنِ
اعبروا فوقَ صولجانِ الحبرِ
وفوقَ أبيضَ يشتاقُ للأزرقِ
اكتبوا أوَّلَ البوحِ
قد تهايلَ بيتُ العنكبوتِ
وعادَ الحمامُ
وغابت عواصفُ الصمتِ
لتعودَ بنا توشّحُ الأصحابَ بالشعرِ
فيستحي البوحُ
ويصمتُ الحبُّ!
لأنك الحبُّ..
خليجٌ لا يعرفُ الكرهَ
ولا ينحسرُ عن شواطئِ اللغةِ
بينكَ وبينَ سرٍّ (ما)
سردٌ ونثرٌ وشعرٌ على صهوتهِ
يعودُ ركبُ الحياةِ.

نصوص

سماء عيسى

(1)

عندما يلتقي الطفل
بحصان العائلة الميت
عندما نلتقط من الصحراء
رضيعا
ومن السماء تتناثر ورود المحبة.

جيوش الإحتلال اقتربت
من مداخل المدن
على الرجال أن يخرجوا
للتصفيق والتهليل
على النساء أن يصعدن السطوح
ويرقصن ناثرات الورد .

الشهداء والموتى
الجثث المعلقة في أعمدة الكهرباء
الجوعى إلى القمح والى الحب
يتناثرون في الأودية
كما يتناثر الفراش والجراد الميت .

(2)
المطر يحدثنا عن الحنين
وأنا أتحدث إليك
بحثاً عن الحب.

تتبعنا في الليل
الكائنات المظلمة
أرواح الغروب التي لا تنير
أنبياء اليهود التائهين في الصحراء.

ابدئي البكاء كما تبدئين الحب
كما تبدأ الأشجار بكاء الخريف الرحب
كما تبحث القطط ليلا عن المكان الأخير
للموت.

(3)
كل امرأة تقول :أحبّك
هي أم لك أو قطعة من قلبك
او دم يتجول في عروق الأرض.

أنتظرك
في طلل القرية
على كتفي طائر الندم المهاجر
وردة ذابلة
فراشة سحقتها أقدام الفاشست.

ماذا تحمل ريح الليل
وقد لف الظلام جسدينا
أسمع نداء البحر يعانق صخر الجبل
أسمع صراخ الحدأة
وبكاء صديق ميت.

التقدمي

التقدمي العدد 213 ـ أغسطس 2025 السنة 23 SDPA 499

رئيس التحرير: د.حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

نجمــةُ النهــارِ

إلى يوسف يتيم .. ذهب مع الحلم

شعر:
عبدالحميد القائد

(1)
كلما دَخلْتُ السقيفةَ
رأيتُكَ جالسًا تَعدُّ أيامَكَ
تُحصي ذاكرتَكَ المثقلةَ بالوحدة
عيناكَ على البابِ ترقبانِ
لا أحدَ يَجيءُ
لا وردَ يُرسلُ عطرًا للمَكانْ
الأزمنةُ أنشودةٌ تتمدَّدُ في الدمِ
الأفقُ قريبٌ .. بعيدٌ
الأمرُ سيّانْ

(2)
الطاولةُ تَسألُ عنكَ
والكَراسي التي نِمْتَ عليها ليالي
والكؤوسُ المترعةُ بالطلى
تَفتقدُكَ كي تنسيكَ بَعضًا
تُنسيكَ جُرحًا
تُنسيكَ حُلمًا في الأفقِ يَخبو
يا مَن أسرْتَ الزمانَ
أسرْتَ القلبَ فِينا
يسألُ الليلُ عن خطواتِكَ
وأنتَ تقطعُ الطرقاتِ البعيدةَ
وأنتَ وحيدٌ
وحيدٌ كالحبِّ، وهو يَبكي

(3)
مضيتَ وعيناكَ رابضتانِ في الحُلمِ
وفي الفضاءِ نجمةٌ

ما زالَتْ تتلألأُ في السماء
هي نجمتُكَ التي تنيرُ الآنَ قبرَكَ
صَوتُكَ ما زالَ هنا
وجهُكَ يُحاورُ السقيفةَ
المُوحشةَ المُستوحشةْ
يُحاورُنا في السديمْ
أيها الحالمُ الوحيدُ اليتيمْ
سَتبقي في القلبِ
وفي الذاكرةِ التي لا تَنامْ

لا تطرقَ الأبوابَ المُقفلة
لن يفتحُ لك أحد
إذا كان قلبكَ بلا ابواب
حرّك عينيكَ لتصبحانِ بَيضاء
ضُع لسانكَ في جيبكَ حتى يَهترأ
سيفتحُ لك الجميع
يرشّنوك بماء الورد
لكن تَقاسيمَ وجهكَ لا تُناسبهم
كما هو مسجّلٌ في الدَفاترِ السريّة
فانتَ من عشاق الحريّة
والطريقُ إلى الضوءِ
لا بد أن يمرُّ بأعمدةِ النور
الذي بدأ يتلاشى
رُويدًا رُويدًا في الغُبَار يتلاشى
لكن الشمس في نهايةِ الأفق
ما زالت تتلألأ من بداية الأزل
ولا تكفّ عن الإبتسام

الهواءُ هو الهواء
نبني قُصورنا عليه
نزعمُ أننا نسيرُ على جبل
نهوي على رؤوسنا
لا ينجينا بحرٌ ولا حَبل
فلا تسأل السحرةَ عن معجزةٍ
فلا معجزاتٍ في عصرِ الغاب
العواصفُ مخبّأةٌ في قَناني الأعداء
وهم يتزايدونَ مثل القَملِ
ربَّما نتَهاوى في أي لحظةٍ
وتسقطُ القلاعُ والقُلوع
تتناثرُ قُلوبنا في الهَجيرِ الحارق
نستحيل نحنُ إلى صحراءِ وسراب
وكأننا لم نكن يومًا ولن نَكون
تستعصي على وجوهنا مواجهة المرآة
هل الهزيمةُ قادمةٌ في كفنِ الخيانة
لنكون أقزام العصر
فالمسرح جاهزٌ واسعٌ كالفراغ
الممثلونَ يرتدونَ ملابسَ المُهرّجين
ملطخةً بدماءِ المذابح
فهل نحنُ قادمونَ أم ذاهبون
ونحن نرى النوارسَ مذبوحةً
تغطّي أجسادها السَواحل
كي لا تنطق سر الدسائسِ
المدفونِ في الأكباد
فهنيئًا للرابضينَ في قلب الحريّة
ولمن عَاد

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي

ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com